مراجعات

ملحــق شهــري تصـدره وزارة الأوقــاف والشــؤون الدينيــة (العدد رقم: 86)

شـوال 1443هـ - مايـو 2022م

الصفحــة الأولــى...

هـلال الحجـري

من الثيمات التي شغل بها الشعراء الإنجليز «الجِياد العربية»؛ بصفتها رمزا للأصالة والجَمال، وقد ترجمتُ سابقاً نماذج من قصائدهم إلى العربية. ومن المصادر الإنجليزية التي تحدثت عن الخيول العربية كتاب «التاريخ الطبيعي للأرض المقدسة وأماكن أخرى مذكورة في الكتاب المقدس» للكاتبة لوسي بارتون (1808-1903)، ابنة الشاعر الإنجليزي برنارد بارتون (1784-1849). صدر الكتاب عام 1856 مصحوبا برسوم توضيحية، ونصوص شعرية لبرنارد بارتون.

يلقب برنارد بارتون بـ»شاعر الكويكرز»، وهو لقب ديني يتصل بطائفة مسيحية بروتستانتية تعرف رسميا باسم «جمعية الأصدقاء الدينية»، ظهرت في إنجلترا في القرن السابع عشر، ويركز أصحابها في حياتهم الخاصة قولا وفعلا على النقاء العاطفي واستلهام نور الخالق؛ سعيا للكمال المسيحي. تحول العديد من أعمال بارتون الشعرية إلى تراتيل تتلى في الكنائس إلى اليوم. كان من بين أصدقائه الشاعر إدوارد فيتزجيرالد، مترجم رباعيات الخيام، وقد تزوج ابنته لوسي عام 1856.

في كتاب «التاريخ الطبيعي للأرض المقدسة»، ترد صفحات لوصف «الجواد العربي» نثرا كتبتها لوسي، ونص قصير ورسمة جميلة قدمهما الشاعر بارتون.

تقول لوسي بارتون: «أجمل وأسرع خيل في العالم هي الجياد العربية التي يفخر بها العرب ويعدّونها مصدرَ سعادتهم. تؤوي خيمةُ العربي عائلتَه وفَرَسَه، ويلعب أطفاله الصغار مع الخيل، دون خوف، بل ينامون جنبها! وتُروى قصة عن عربي أغري ببيع فرسه لمَلِكٍ فرنسي؛ لكونه فقيرًا. لكن عندما حان الوقت للتخلي عن محبوبته، نظر أولاً إلى الذهب، ثم إلى فرسه، وقال: لمن سأسلمك؟ إلى الأوروبيين! الذين سيقيّدونكِ، ويقهرونكِ، ويجعلونكِ بائسة! ارجعي معي يا جميلتي وجوهرتي! وابتهجي بقلوب أطفالي»، ثم اعتلى ظهرَها وغاب عن الأنظار في لحظات قليلة».

ويقول الشاعر برنارد بارتون مادحا الجواد العربي:

بالجوَادِ الحُرِّ يزهو العَرَبُ * لا يُضاهَى حُسْنُه إِذْ يَثِبُ
يَستحقّانِ ولاءً عادلًا * فَرَسٌ حُرٌّ، ورَبٌّ حَدِبُ

hilalalhajri@hotmail.com

الله، العلم، الدلائل: فجر ثورة
ميشيل-إيف بولوري
وأوليفييه بوناسي

فلسطين في الكتب المدرسية الإسرائيلية
نوريت بيليد-الحنان

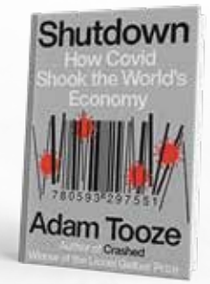

الإغلاق: كيف هزّ كورونا الاقتصادَ العالمي
آدم توز

الثقافة البيئية
بيير شاربونييه

علم تغير المناخ: أسباب الاحترار العالمي وآثاره وحلوله
ديفيد س. تينغ وجاكلين أ. ستاغنر

10% ديمقراطية أقل: لماذا يجب الثقة بالنخب أكثر قليلاً، وبالعامة أقل قليلاً؟
غاريت جونز

فرز الاقتصاد المختلط: صعود وانهيار دول الرفاهية والتنمية في الأمريكيتين
إيمي سي أوفنر

"ماهابهاراتا" بَرْمَجيّةٌ حُرّة
كيه. سي. نارايانان

الغَلاف، لنقد الحاضر
مارشيللو فينيتسياني

العالم في عام 2040 كما تراه وكالة الاستخبارات المركزية
تأليف جماعي

جعل الأرقام مهمة: فن وعلم توصيل الأرقام
تشيب هيث وكارلا ستار

إصــدارات عــالميــة جـديـدة

الصفحــة الأخيــرة

الله، العلم، الدلائل: فجر ثورة

تأليف: ميشيل-إيف بولوري وأوليفييه بوناسي

محمد الشيخ *

ثمَّة خلل رهيب في هذا الكتاب المُثير للجدل: لا تُجزي الحملة الضخمة لتسويقه، حتى بيعت في الثلاثة أشهر الأولى من صدروه أزيد من مائة ألف نسخة، «سخافة» بعض دعاوى الكتاب؛ لعل أشدها غرابة وإثارة دعوى أنَّ دولة إسرائيل تنهض دليلا على وجود الله! أو أن ما يسميه «مناهضة نظرية الانفجار الأعظم وملاحقة القائلين بها» تقوم حجة على صحة النظرية ووجود الله! وبهذا جعل المؤلفان الكاثوليكيان الله عرضة «تهيؤاتهما»!

في تقديم روبرت ولسون، وهو عالم فيزياء أمريكي حاصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٨، يذكر كيف يشكل هذا الكتاب عرضا جيدا لنظرية الانفجار الأعظم ولأثرها على اعتقاداتنا وتصورنا للعالم. ويرى أنه حسب مؤلفيه، وكلاهما رجل مهندس، يمكن أن يوجد كائن عقلي أسمى في أصل هذا الكون. ويضيف قائلا: على الرغم من أن هذه الأطروحة العامة لا تحمل إليّ تفسيرا كافياً، فإنني أقبل اتساقها. ذلك أنه بالرغم من أن اشتغالي، بحسباتي عالما يقتصر على القبول بتأويل عملي محض، يمكنني أن أتفهم كيف أنَّ نظرية الانفجار الأعظم قد تستحث على تفسير ميتافيزيقي. ثم يحكي ولسون كيف أنه من قبل كان يؤمن بأن الكون أزلي أبدي، إلى أن كشفت له نظرية الانفجار الأعظم عن أن للكون بداية وتطورا. على أن هذا لا يمنعه من إبداء تحفظ؛ إذ يذكر أننا لا نعلم حتى اليوم إلا ٤٪ من مادة الكون وطاقته؛ علما بأن المادة السوداء والطاقة السوداء تشكل على التوالي ٢٦٪ و٧٠٪ مما يحتويه الكون، لكننا لا نعلم عنهما فتيلا. وحل هذا الإعضال قد تنبثق عنه فيزياء جديدة سوف تقلب فهمنا الحالي لنشأة كوننا منذ الانفجار الأعظم وتطوره. كما أنه لكي يتطور الكون البدائي نحو ذلك الذي عنه نشأنا ونفهمه اليوم، يفترض هذا الأمر بالضرورة أنه تم إعداد الانفجار الأعظم إعدادا بميزان، وإلا اختل نظام الكون. ومن هنا، يستكشف هذا الكتاب فكرة روح أو إله خالق. وهي الفكرة التي نعثر عليها في العديد من الأديان. وهنا يضيف: لَئِنْ كان المرء متدينا بحسب التقليد اليهودي-المسيحي، فإنه يرى أن لا نظرية أفضل من نظرية الانفجار الأعظم وأصل العالم تقبل أن تتوافق ومرويات بداية الخلق الواردة في الأديان. على أن هذا الأمر يرجئ مرة أخرى طرح مسألة الأصل الأول: كيف ظهرت هذه الروح أو الرب؟ وما هي صفاته؟ ويختم مقدم الكتاب بالقول: يحدث لي أحيانا أنه عندما أرفع عيني إلى آلاف النجوم التي تومض في الليل، أفكر في كل الأشخاص الذين، شأني، رفعوا أعينهم صوب السماء وتساءلوا: كيف بدأ هذا كله؟ ويضيف: بكل تأكيد لا أعلم لهذا الأمر تفسيرا. ولكن، لربما بعض القراء سوف يحظون بحظوة أن يجدوا بداية جواب في هذا الكتاب.

ينبه مؤلفا الكتاب إلى أن هذا العمل استغرق منهما ثلاث سنوات، وأنه تمَّ إعداده بمساعدة من ٢٠ متخصصا، وأن غرضه فريد من نوعه: تزويد القارئ بالعناصر الأساسية للتفكير في مسألة وجود رب خالق؛ وهي مسألة باتت اليوم تطرح وفق اصطلاحات جديدة كل الجدة، وأن موضوعه عرض الحجج الجديدة على وجود الله لكي يتم إدراك حجم «الثورة الفكرية» التي نحن شاهدون عليها اليوم. ويعرب المؤلفان عن أمنية أن يتمكن القارئ، عند نهاية القراءة، من أن يكون قد تزود بكل العناصر التي تسمح له باتخاذ القرار حول ما الذي يريد أن يعتقده بكل حرية وبينة. ويذكراننا أنهما لا يقدمان في هذا الكتاب سوى «الوقائع»، ولا شيء غير الوقائع. ويأملان أن يقود كتابهما إلى فتح نقاش جوهري. ويذكر المؤلفان أنهما لطالما شغفا بالمواجهة بين العلم ومسألة وجود الله، وأنهما ما عثرا على الكتاب الذي يشفي الغليل؛ ولهذا انتدبا نفسيهما لهذه المهمة. وقد أجرياه كما يجرى استقصاء صارم، وفق منهج المعقولية؛ متجنبين موقفين: موقف القائلين بالخلق الذين يستبعدون كل الاكتشافات الحديثة ويؤمنون باعتقادات مجنحة، وموقف الماديين الذين يرفضون أخذ نتائج التقدمات التي يحققها العلم بعين الاعتبار. ويؤكدان أن ما يشهده العلم من مستجدات من شأنه أن يغير نظرتنا إلى الكثير من الأمور. ذلك أنه إلى عهد قريب، كان يبدو الإيمان بالله أمرا ليس يمكن التوفيق بينه وبين العلم. لكن الآن، وعلى نحو ما كان متوقعا، يبدو أن العلم قد أمسى حليف الله، وأن المادية، التي ما هي إلا اعتقاد بين اعتقادات، تترنح يومًا عن يوم. وإننا لعلى عهد فجر ثورة. وقد شاء المؤلفان أن يرويا عن هذه الثورة حيث أن تطور الرياضيات والفيزياء طرح أسئلة كان يُعتقد أنها تقع خارج تناول المعرفة البشرية؛ شأن الزمان والأبدية وبداية العالم ونهايته وإعداد الكون وظهور الحياة، وباتت اليوم موضوعات علمية. وهكذا، فإنه بعد قرون بدت فيها النظريات العلمية تسير ضد الإيمان. دوران الأرض حول الشمس، الوصف الرياضي لعالم آلي، قدم تاريخ الأرض، حتمية نظام الكون وعدم حاجته إلى ملائكة تدبره، الظهور التطوري للحياة، فكرة أن التطور لا يقوم على تدخل الرب وإنما على الاصطفاء الطبيعي، المادية الجدلية، نظرية فرويد ... فإن النصف الثاني من القرن العشرين شهد على أفول هذا النزوع المادي. ميكانيكا الكوانطا التي طعنت في فكرة كون بسيط آلي حتمي، أفول المعسكر الشيوعي حامل لواء الإلحاد، بيان فضائح الفرويدية ... بما ينبئ عن أن نهر الفيزياء الطافح قد خرج عن ضفتيه لكي يصب في مجال الإلهيات، ومن هذا الصبيب لاحت عناصر تُظهر ضرورة وجود ذكاء خلاق في أصل هذا الكون. وهو الشيء الذي يرويه هذا الكتاب المكون من ثلاثة أقسام.

القسم الأول من الكتاب

الدلائل على وجود الله المرتبطة بالعلم

يركز هذا القسم على «الاكتشافات الثورية» الخمسة، ويقدمها على أنها دلائل تنهض على وجود الله. وهي دلائل مستقاة من مجالين: مجال علم الكون، ومجال علم الحياة:

أولا؛ الموت الحراري للكون. وهذه نظرية اشتُقت من النظرية الحرارية الدينامية التي كانت ظهرت عام ١٨٢٤، وتأكدت عام ١٩٩٨ باكتشاف التمدد المتسارع للكون. وفكرة الموت الحراري للكون تنهض، في رأي المؤلفين، حجة على أن للكون بداية. والحال أن ما من بداية إلا ولها باري. إذ لئن كانت للكون بداية زمنية، فإن له علة تتقدم عليه. علما أن هذه البداية تقتضي إعدادا دقيقا.

ثانيا؛ نظرية النسبية التي أقيمت مابين عام ١٩٠٥ وعام ١٩١٥ من لدن آينشتاين وتم تأكيد صحتها بعده تأكيدات عدة. وهي نظرية تؤكد على أن الزمان والمكان متعالقين؛ بحيث لا يمكن أن يوجد الواحد منهما من دون سواه. وهذا ينهض حجة . في رأي المؤلفين . على أنه لئن كانت ثمة من علة للكون، فإنها بالضرورة علة غير زمنية وغير مكانية وغير مادية، هي التي خلقت الزمان والمكان والمادة.

ثالثا؛ نظرية الانفجار الأعظم. وقد نظّر فريدمان لها في العشرينات من القرن الماضي، ونظّر لها لوميتر عام ١٩٦٤. ويستشف من هذه النظرية أن بداية الكون شهدت على تعالق بين الفيزياء والعلة الخالقة الخارجة عن الكون.

ومن ثمة تتطابق فكرة الانفجار الأعظم مع فكرتنا عن خلق العالم من لدن الخالق، وكوننا لا نستطيع التفكير في ما قبل الانفجار الأعظم. لأن مقولات الزمان والمكان والمادة لا يمكن تصورها خارج هذه الفرادة الأولية. أمر يعزز فكرة حركة خلاقة.

رابعا؛ الإعداد الدقيق للكون. يشي مبدأ أن هذا الكون أعد للإنسان إعدادا. وهو المبدأ الذي بات مقبولا على نطاق واسع من العلماء. عن أنه تم الإعداد للكون إعدادا؛ مما ينهض دليلا على وجود مُعِدٍّ ما كان سوى الباري. فلا يمكن أن نصدق، حسب عبارة فولتير، وجود ساعة (كون) من دون ساعاتي (رب). ثمة إعدادات مسبقة بني عليها الكون تخص قوة الجاذبية والقوة الكهرومغناطيسية والتفاعل بين العناصر الذرية وسرعة الضوء ... كل هذه الأمور ضبطت ضبطا بحيث لو اختلت لاختل نظام الكون وتهاوى؛ فلا بد من ضابط لها ومُعِدٍّ.

خامسا؛ أظهر علم الأحياء أن ثمة هوة سحيقة بين الجامد والحي، وقفزة مدوخة؛ بحيث لا يمكن أن تتم النقلة بمحض الصدفة؛ بما ينهض دليلا على أن هناك «تصورا مسبقا» و«يدا خفية» لهذه النقلة ناجمة عن «ذكاء خلاق»: لقد تجمعت المادة على نحو أشد فأشد تعقيدا في كواركات وذرات وجزيئات بسيطة فمركبة، ثم أنشأت، قبل وجود أي كائن حي، لغات حمض نووي فائقة التعقيد وبروتينات، وتم تجميع كل هذا لكي يظهر أول كائن عضوي حي وحيد الخلية؛ كلا لا يمكن أن يحدث هذا لولا وجود رب خالق.

القسم الثاني من الكتاب

الدلائل على وجود الله المستقاة من خارج العلم

في هذا القسم محاولة للتدليل على وجود الله من خارج المجال العلمي. إذ ثمة ظواهر في الكون ليس يمكن بأي حال من الأحوال أن نجد لها تفسيرا عقليا ومعقولا إذا ما نحن افترضنا أنه لا وجود اللهم إلا لكون مادي. وهنا ينهل المؤلفان دلائلهما من تراثهما الديني؛ بحيث يحاولان الإجابة عن التساؤلات التالية: ما مصدر حقائق التوراة التي لا يمكن تفسيرها؟ ترى، من يكون يسوع المسيح: أحكيم هو أم مغامر فاشل أم نبي؟ وهل يمكن تفسير مصير الشعب اليهودي تفسيرا طبيعيا أم أنه يشهد على «معجزة»؟ ما الذي حدث في كرامة قرية فاطمة البرتغالية التي ظهرت فيها السيدة العذراء في السماء وشهد الكل على رؤيتها: أَوَ كانت هي وهما أم خدعة أم أمارة ربانية؟ هل يقبل الخير والشر أن يتحددا من لدن الإنسان بلا حد؟ ما طبيعة الحجج الفلسفية على وجود الله؟

وهكذا، يتساءل المؤلفان: كيف لشعب غامض وفقير أن يحمل حقائق كبرى إلى العالم لو لم تكن هي حقائق منزلة؟ وهي: ما الشمس والقمر إلا جسمين نورانيين. العالم مخلوق من لا شيء وله بداية. سوف تكون للكون نهاية. الإنسان

مركب من مادة. لا وجود لأرباب لا في النجوم ولا في الأنهار ولا في العيون ولا في الغابات. كل البشر ينحدرون من أصل واحد؛ بما يوجب مساواتهم. ما الملوك والأباطرة إلا بشر. ما خُلق العالم دفعة واحدة وإنما على تدرج. في عملية الخلق ظهر الإنسان هو الآخر. كانت هناك سلالات بشرية أخرى انقرضت. إنما علم التنجيم والطقوس السحرية التي آمنت بها سائر الشعوب شعبذات. أكثر من هذا، ما كانت «أغلاط التوراة» أغلاطا وإنما نحن من لم يفهم مجازات التوراة التي لا يمكن أن تفهم على حرف: خلق العالم في سبعة أيام بدل ١٣ مليار سنة، في البدء خلق الرب السماء والأرض بينما لم تخلق الأرض إلا بعد ٩ مليار سنة بعد الانفجار الأعظم، خلق النور بداية ... كما أننا نسبنا إلى التوراة ما لا يوجد فيه: انبساط الأرض. ثم يأتي المؤلفان إلى بيت القصيد: الحديث عن «سر» الشعب اليهودي الذي يعتبره المؤلفان الشعب الوحيد الذي فقد أرضه بالكامل واستردها بعد ١٨ قرن، وهو الشعب الوحيد الذي بعد أن ضيع لغته ثم أحياها بعد ٢٥٠٠ عام، والشعب الوحيد الذي يحيط به أعداؤه وصمد، والشعب الفريد الذي الجميع عنصري ضده، ومع ذلك الشعب الاستثنائي الذي توفر له هذا العدد الهائل من المفكرين والعلماء! كل هذا ينهض، في رأي المؤلفين، حجة على وجود الله، وعلى أن الله يتدخل في التاريخ! ثم يتساءل المؤلفان عن سر ظهور السيدة مريم العذراء قرب قرية فاطمة بالبرتغال (١٣ أكتوبر ١٩١٧) في حوالي منتصف النهار في ضيعة شبه مهجورة بالبرتغال بعد أن تنبأ ثلاثة أطفال أميين بظهورها في السماء في ذاك اليوم. وجواب المؤلفين أن هذه معجزة تنهض على وجود الله!

القسم الثالث

في هذا القسم يروم الباحثان الحسم مع كل الاعتراضات الشائعة على وجود إله خالق؛ شأن حجة عدم وجود الله إذ لو احتاج الأمر إلى وجود حجة عليه لما وجد حقا، وحجة أن وجود الرب غير ضروري لتفسير الكون، وحجة أن التوراة ما كان سوى حديث خرافة يعج بالأغاليط، وحجة أنه ما تولدت عن الأديان سوى الحروب، وحجة أنه لو كان الله موجودا حقا، كيف نفسر وجود الشر في العالم؟ في رده على المؤلفين، يذهب فيلسوف العلم الفرنسي إيف كلاين إلى أن ادعاء إثبات وجود الله إثباتا علميا إنما يدل على نوع من «السذاجة»؛ أولا اتجاه الرب نفسه؛ لأنه لَئِنْ صار وجوده ثمرة منهج علمي؛ أي رهينة لبحث عقلي يقوده مجمع باحثين، فإن في ذلك إساءة إلى هيبته؛ بحيث لن يصير مقامه اللهم إلا مقام معرفة؛ بينما يمثل الله بالنسبة إلى المتدينين أكثر من موضوع معرفة، بل هو موضوع محبة وعبادة. وسوف يكون «هذا السقوط الأنطلوجي» لا مجرد «موت للإله»، على الأقل إله الدين أو الإيمان، لأن هذا يفترض أن الله ما كان، قبل هذه الاكتشافات، إلا كائنا تملأ به ثقوب المعرفة البشرية. وثانيا، إساءة اتجاه العلم؛ لأن هذا المجال يقع خارج نطاق حقل العلم وبحوثه؛ مما يجعل العلم يَتَطَوَّس ويدعي حسم كل الإشكالات التي تطرح علينا، بما فيها تلك الإشكالات غير العلمية.

ينتهي الكتاب بنوع من تمجيد النفس غريب؛ حيث ينشئ المؤلفان القول: دلائل هذا الكتاب حديثة، بينة، عقلانية، مستقاة من تخصصات متعددة، متنوعة ... لا واحد منها أمكن وجوده حتى القرن ٢٠. ومعنى هذا، عند المؤلفين، أن ما تحقق من تدليل على وجود الله في زماننا هذا أمر هائل يضعنا على أعتاب «ثورة جديدة». والحال أنه بالنظر إلى «دلائل» هذا الكتاب، يبدو لي أن كل «الحجج» و«الشبه» مباحة عند المؤلفين، بغاية مواجهة المستهدف من هذا الكتاب بأكمله: ما يسميانه «المادية». وهذا يذكرني بالمتكلم أبي القاسم الوسياني وتناظر زوجته وتلميذه في مسائل علم الكلام. فقد ذكر التلميذ أنه كان في أيام قراءته على الشيخ حضر يوما إلى منزله، فوجده راقدا، وطفق يتناظر هو وزوج الشيخ في مسألة من علم الكلام، فلما أفاق الشيخ قال له التلميذ: هل سمعت ما نحن فيه؟ قال: نعم سمعتكما تترامیان بالخزف؛ يريد ضعف حججهما في المناظرة. كذلك هي دلائل هذا الكتاب: أشبه شيء تكون برمي المؤلفين النفاة بالخزف.

الكتاب: الله، العلم، الدلائل (فجر ثورة)

المؤلفان: ميشيل-إيف بولوري وأوليفييه بوناسي

دار النشر: غي تريدانييل/ باريس

سنة النشر: 2021

* أكاديمي مغربي

فلسطين في الكتب المدرسية الإسرائيلية

نوريت بيليد-الحنان

عزالدين عناية *

تحوز الكتب المدرسية مكانة خاصة في تشكيل الوعي الجمعي لدى النشء، فهي إلى جانب الإعلام والثقافة والفنون تكوّن العناصر الأساسية التي تصوغ من خلالها الدولة الذاكرة الجمعية، والفاكرة المشتركة، والذوق العام. وعلى هذا الأساس تُمثّل الكتب التعليمية إحدى الدعائم التي تصاغ بفضلها الهوية الإسرائيلية سواء في أبعادها الفردية أو الجماعية. وإسرائيل، كما ترصد الباحثة والأستاذة الجامعية نوريت بيليد-الحنان، تراهن على هذا الرأسمال المعنوي المتشكل من التاريخ والذاكرة، والهوية، في صناعة الفرد والمجتمع.

في هذا المؤلَّف الذي توزّعَ على أربعة محاور أساسية: تمثل الفلسطينيين في النصوص المدرسية الإسرائيلية؛ وجغرافية العداء والعزل.. تحليل متعدد الأنماط؛ والمخزون التعليمي والرسائل الجلية والخفية؛ وسياقات إضفاء الشرعية بخصوص المجازر؛ ناهيك عن مقدمة وخاتمة، تعتمد الباحثة نوريت بيليد-الحنان على مجموعة من المؤلفات المدرسية، موزعة بحسب رواجها بين المدرّسين. نجد من ضمنها عشرة كتب مدرسية في مادة التاريخ، وستة في مادة الجغرافيا، وكتابا وحيدا في مادة التربية المدنية موجها إلى مختلف المدارس الثانوية الإسرائيلية واليهودية والعربية. والكتب المدرسية المعتمَدة في الدراسة يأتي جميعها منشورا خلال الفترة المتراوحة بين ١٩٩٦ و ٢٠٠٩، أي بعد اتفاقيات أوسلو بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية.

نشير إلى أنَّ الباحثة نوريت بيليد-الحنان تدرّس في كلية علوم التربية في الجامعة العبرية بالقدس. نالت العديد من الجوائز بخصوص أبحاثها ذات المنزع التقدمي بخصوص حقوق الإنسان. وتتركز أبحاثها حول المسائل التربوية والحقوقية للشعب الفلسطيني.

يستمدّ بحث بيليد-الحنان أهميته من كون الكتب المدرسية المعالجَة تخاطب شريحة مجتمعية يافعة، تجد نفسها في سن الثامنة عشر مدعوة إلى أداء الخدمة العسكرية الإجبارية، بقصد تفعيل السياسة الإسرائيلية فيما يخص احتلال الأراضي الفلسطينية. فلا تستهدف هذه الدراسة المعمَّقة والموثَّقة وصف التعليم الإسرائيلي في مجمله؛ ولكنها تسلط الضوء بالأساس على مسألة عرض الكتب المدرسية لموضوعي فلسطين والفلسطينيين، وما تروجه من قناعات تستهدف أطفالا وشبانا هم مدعوون حالما يتمّون الثامنة عشرة إلى أداء الخدمة العسكرية وربما لاستعمال القوة.

نَعرف أنّ الكتب المدرسية تشكّل معينا ثريا تصوغ من خلاله الدولة نظرة مواطنيها للأحداث والوقائع، ومن ثم تُبلور رؤى وذكريات وتأويلات مشتركة بخصوص الحاضر والماضي والمستقبل. وتبعا لذلك الدور تحاول الدراسة التي بين أيدينا استعادة مضامين الكتب التعليمية، في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية أساسا، معتمدة النصوص المكتوبة والمرئية التي تعرض «الآخرين»، أي الفلسطينيين، في مقابل اليهود الصهاينة. ونقصد بالفلسطينيين المواطنين في دولة إسرائيل وغير المواطنين، ممن يعيشون منذ العام ١٩٦٧ تحت وطأة الاحتلال. وكما نعرف برغم نجاح إسرائيل في عرض نفسها في أعين العالم كديمقراطية متفردة في الشرق الأوسط، فإنَّ كثيرا من الباحثين والدارسين يتقاسمون النظر إليها كدولة ذات طابع «إثنوقراطي»، أي دولة محكومة بسلطة العرق والجماعة الإثنية. وهو ما يعني أن إسداء الحقوق، وممارسة السلطة، والتمتع بالثروة، لا يقوم وفق مفهوم المواطَنة، بل على أساس الانتماء العرقي. وفي الوقت الذي يتمتع فيه مواطنون يهود من بلدان أخرى بحقوق المواطَنة التامة، مع أنهم يعيشون خارج الحدود الرسمية للدولة، فإنَّ هذا الحق لا يحظى به العرب الذين يعيشون داخل حدود الدولة، ولا الفلسطينيون في الضفة الغربية المحتلة المحرومون من حق الجنسية. وتماشيا مع مسعى إسرائيل في تشجيع التوسع الإثنوقراطي داخل الأراضي الفلسطينية تحاول الكتب المدرسية عرض هذا التمدد كممارسة تتطابق مع المواقف والمبادئ الصهيونية ومع حاجة إسرائيل إلى الأرض والأمن. وتَظهر أهمية التعليم في الرهان على خَلق كيان موحد للمجتمع الإسرائيلي، مع أن حشودا من المواطنين ساقتهم عوامل تاريخية إلى أرض فلسطين ولا تجمع بينهم لغة، أو ثقافة، أو تاريخ موحد. يغدون بفضل التعليم، والأدب، والإعلام، كتلة موحدة، وتربطهم ذاكرة مشتركة وهوية متجانسة، كل ذلك بفضل الإسهام الكبير للكتب التعليمية ولدور النظام المدرسي في صنع تلك الوحدة. ولذلك تبقى من بين المهام الرئيسة المنوطة بالكتب المدرسية في إسرائيل وهي نَسج رواية تربط الطلاب اليهود بأصولهم العميقة في أرض إسرائيل. فتحاول الكتب المدرسية عرض اليهود بمثابة أهليين أصيلين، عادوا إلى بلدهم الأصل وإلى موطنهم الأثير. وبحسب الخطاب الإسرائيلي المصنَّع، يتحدر هؤلاء اليهود الغربيون المعاصرون، الذين باتوا «أهليين»، مباشرة من يهود التوراة ومن ثَمّ هم أبناء إسرائيل الشرعيون.

لا يُشكّل الكتاب الحالي عمل مؤرِّخة بل نتاج محلّلة للخطاب. فلا تسعى الباحثة نوريت بيليد-الحنان إلى تفحّص المعلومات والأخبار والروايات، الواردة في الكتب المدرسية، بل تهدف بالأساس إلى تحليل الخطابات، أو لنقل الرواية الضمنية والخلفيات السيميائية. فلا تقوم الرسالة الإيديولوجية التي تود دولة إسرائيل إبلاغها إلى المتلقي، المتعلّم، على الصرامة المنطقية ولا على إشراك الطلاب في إنجاز البحث التاريخي لبلوغ تلك القناعات، ولكن تهدف بالأساس إلى صياغة هوية جماعية صلبة أيا كانت الأسس التي تقوم عليها. وبالتالي تهدف المضامين الصادرة عن الرواية الرسمية إلى خلق هوية مشتركة، وولاء جماعي، وإن تبيّنَ خطأ تلك الرواية علميّا، إذ يبقى المقصد أهمّ من المضمون. ومع أن التعليم في إسرائيل، كما يُفترَض أن يكون، وكما يُصرَّح به، هو تعليم وطني شامل لسائر شعب إسرائيل ومواطنيها، فهو في واقع الأمر لا يتضمن محاور أو روايات على صلة بجموع الشعب الفلسطيني الحاضر على أرض فلسطين، سواء كانوا مواطنين في دولة إسرائيل أو لم يكونوا. فلا يظهر في النصوص المعالَجة أي أثر لتقديم رواية ديمقراطية متقاسَمة بين مواطني إسرائيل بشأن تواريخهم وذاكراتهم وحاضرهم ومستقبلهم. وحتى موضوع السلام حين يُعرَض، ضمن السياق التربوي، فهو لا يُعرَض كمقصد جوهري بل كهدنة مؤقتة أو كحل مفروض، ومن ثَمّ لا يحضر كفرصة لبناء وجود طبيعي.

فالجميع، إسرائيليون وفلسطينيون، هم مطالَبون بتقبّل الرواية الصهيونية وتشربها. ومما لا يخفى أن الفلسفة التعليمية الصهيونية الحاضرة في النظام التعليمي الإسرائيلي تقوم على الرواية التوراتية، تسندها المقارَبة الأثرية اليهودية الإسرائيلية التي تحاول منح حجية علمية للرواية التوراتية مدعية أن السيطرة والتملك العبريين لفلسطين يعود إلى تاريخ قديم، وعلى هذا الأساس يُجمِّد النظام التعليمي الإسرائيلي النظرة التاريخية لفلسطين. هناك ادعاء استمرارية يهيمن على النظر للتاريخ اليهودي في فلسطين، يستلهم مقوماته من تصورات ذات طابع قداسي. فاليهود، وفق الفلسفة التعليمية الصهيونية، يشكلون أمة طبيعية منذ فجر التاريخ، رغم أنهم في واقع الأمر يتحدرون

من شتى أصقاع الأرض، وليس هناك ما يوحد بينهم سوى انتماء ديني هلامي، وإن كان الدين يُمارَس أو يُفهَم بأشكال متغايرة بحسب الإثنيات والثقافات والحضارات التي وفد منها اليهود، تبلغ حدّ التباين والتضارب أحيانا. مع ذلك تسعى الفلسفة التعليمية إلى خلق «ماض عملي»، كما يرى جيمس وارتش، يمكن توظيفه في أهداف محددة في الحاضر. لم تفلح هذه الفلسفة التعليمية دائما في خلق مشترك ثقافي بشأن الهوية. وتقول الباحثة نوريت بيليد-الحنان في شأن درس «التعددية الثقافية والعنصرية في إسرائيل» الذي تقدّمه للطلاب، إن تعريف الطلاب الإسرائيليين لأنفسهم على مستوى الهوية عادة ما يأتي على النحو الآتي: أنا يهودي، إسرائيلي، صهيوني. وأما في ما يخص الطلاب العرب فيتمحور الجواب حول كونهم عربا أو فلسطينيين يحملون بطاقة هوية إسرائيلية، فالتغاير جوهري بين الثنائي.

تشير الباحثة إلى وجود محاور مصادَرة في فلسفة التعليم الإسرائيلية، فعلى سبيل المثال تدرك السلطات الإسرائيلية، ولا سيما منها التعليمية، أنّ الاعتراف بالنكبة الفلسطينية هو مدعاة إلى إلغاء إسرائيل كدولة يهودية، وبما يبرر الثورة والانتفاضة للمواطنين الفلسطينيين. وهي في واقع الأمر سياسة تعليمية تميز الأنظمة «الإثنوقراطية» التي تصوغ روايات تاريخية تهيمن فيها النظرة الإثنية المركزية، وتبدو فيها الهيمنة على الأرض مشروعة ويظهر فيها الآخر بمثابة التهديد.

ووفق ما رسمته الكاتبة يعالج الكتاب أيضا الشكل الذي تَحضَر به إسرائيل أو تُعرَض، وكذلك الشكل الذي يَغيب به الفلسطيني أو يُطمَس، في مدارس إسرائيل. حيث يعتمد البحث على النص المكتوب والمرئي فضلا عن رصد الخطاب الذي يشرعن لإبعاد الفلسطيني وعزله، وإلى حد مطاردته وقتله، سواء كان مواطنا أو غير ذلك. وفي تحليل الباحثة السيميائي للنصوص ترتئي أن المختارات التعليمية ليست محايدة، وتنطوي دائما على مضمون إيديولوجي. وعلى هذا الأساس تتضمن النصوص روايات على صلة بذكريات شبه مقدسة، قائمة على رؤية بطولية ودرامية، وهي روايات تعمل على عرض الأحداث من منظور واحد يستبعد الطروحات النقيضة، بما يجعل المعروض يتمتع بخاصية النموذج الأمثل. فمقصد النصوص هو العمل على بناء هوية جماعية متماسكة، تلغي من مسارها كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذه الوحدة أو يمس من قداستها، ولذلك هي نصوص منتقاة بعناية وليست منفتحة لكافة الطروحات. كما أنها تسعى إلى إنتاج قراءة عملية للماضي لا قراءة علمية، يتقدم فيها الغرض على العلم. نلحظ هذا، كما تقول الباحثة، في النهج العام للكتب المدرسية الذي لا يتغير وإن تغيرت الحكومات بين يمين ويسار. حيث تتميز المؤلفات جميعها بتوظيف الماضي لصالح الحاضر، أي مباركة التوسع الاستيطاني الجاري في إسرائيل.

يبيّن هذا البحث القيّم لنوريت بيليد-الحنان أن مختلف النصوص التي شملها البحث، في التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية، هي قائمة على منهج موحَّد في عرض الحقائق، بما يشبه «الوصاية على الحقيقة» بشأن الذاكرة الجماعية القائمة على الحقيقة المدنية التي تمثلها الدولة. وعلى هذا الأساس تعرض الكتب المدرسية الإسرائيلية «حقائق خالدة» سواء في ما تعلق باليهود، بوصفها حقائق تراجيدية على صلة بالاضطهاد ووضع الضحية، أو ما تعلق بغير اليهود أي بالعرب. حيث يظهر الفلسطيني في الطرف المقابل للإسرائيلي ذي ملمح عدواني، أي بخلاف الإسرائيلي الضحية والمدافع عن الأرض بشكل دائم. ذلك ما يعبّر عنه القول الشائع مع كل فصح جديد: «مع كل عام جديد ينهضون مجددا بقصد تدميرنا».

تُبرز الباحثة حضور رسالة أخرى ثابتة في النصوص المدرسية، وهي الرسالة الاستعمارية، إذ يَظهر اليهود الإسرائيليون في صورة تنويرية يحفزهم نشر التقدم؛ في حين يلوح العرب بمثابة البدائيين يقتضي الوازع الخُلقي والواجب المدني «تحضيرهم». يأتي ذلك لغرض دفع الفلسطيني داخل إسرائيل إلى إتقان المهن العصرية، وتعلم المعارف الحديثة، وبالتالي ليشغل دورا متحضرا في المجتمع الإسرائيلي العصري. ولا تغفل تلك الرؤية العنصرية عن إبلاغ رسالة تربوية إلى الطالب الإسرائيلي أن سياق التعلم لدى الفلسطيني بطيء بفعل ماضيه «المتخلف»، بَيْد أن احتكاكه بالإسرائيلي في المدن الإسرائيلية أو في الكيبوتزات سوف يجعله «يتحضر» ويتعلم.

وعلى هذا الأساس تلقّن الكتب التعليمية التلميذ الإسرائيلي الرواية المهيمنة بدل منهج البحث الموضوعي المطلوب في المواد التاريخية والجغرافية والمدنية. لتتميز مضامين المؤلفات بطابع سلطوي يغيب منه المنهج الحواري. وضمن هذا الشحن المقصود، عادة ما تمرّ الرواية الفلسطينية في كثير من المحاور بصمت أو تُروى بحذر. والكتب المدرسية التي لا تراعي هذه التعليمات، لا تفوز بإقرار السلطة التربوية أو اعترافها، ولذلك تهيمن الرواية الصهيونية على النصوص فيمثّل فيها الفلسطيني عقبة أمام التحول الإيجابي، مما يقتضي الحال إزاحته أو هزيمته أو القضاء عليه، وعلى هذا الأساس لا يمكن للتاريخ الفلسطيني، ولا للرواية الفلسطينية، ولا للحقائق الفلسطينية أن تحضر. تبعا لهذا التمشي تحظى النصوص التعليمية في إسرائيل بالقبول، حين تستعيد رواية الدولة، وإن عارضت الرواية الواردة من الأرشيف الإسرائيلي ما هو مروَّج رسميا، فهي عادة ما تأتي انتقائية ومتعلقة بحالات حصرية.

ما من شك، كما تبرز الباحثة، أن النصوص التعليمية تنطوي على عرض مسيَّس يهدف إلى تخليد السيطرة وتأبيدها، وعلى هذا الأساس تعرض الخرائطُ الجغرافية إسرائيلَ الكبرى وتُقدَّم للطالب مرفقة بمقاطع توراتية تستعيد الوعد الإلهي لإبراهيم، أو المسعى الإسرائيلي لاجتياح الأرض المقدسة عبر التاريخ. بموجب ذلك المنهج تحاول النصوص تغييب الآخر الفلسطيني تغييبا حازما من الذاكرة التاريخية، ليتحول الإسرائيلي القادم من خارج فلسطين إلى أهلي وأصيل في الأرض المقدسة.

هناك ما تسميه الكاتبة «الصمت التاريخي» و«الصمت الجغرافي» على صلة بالفلسطيني في الكتاب المدرسي الإسرائيلي. والحال أن الرواية التربوية والتعليمية لا تكتفي بالصمت؛ بل تحاول أحيانا اعتماد الطمس للجغرافيا والتاريخ من خلال القلب والاستبدال للمسميات والأحداث والروايات. هي بالأساس عملية تهويد راديكالية يقوم عليها النظام التعليمي الإسرائيلي بخصوص فلسطين. فلا تزال الطروحات التربوية معتمدة أساسا على الرواية المغرضة التي تعرض التاريخ من منظور واحد. ثمة رواية مقصودة يعرضها الكتاب المدرسي، أنه على مدى ألفي سنة غاب فيها اليهود عن فلسطين، ينبغي أن تبقى الأرض يهودية، وذلك ضمن رؤية جامدة للتاريخ لا تولي أحداثه المكتظة اعتبارا، هذه بحق مركزية عرقية مغرقة في الانحصار.

الكتاب: فلسطين في الكتب المدرسية الإسرائيلية.

المؤلفة: نوريت بيليد-الحنان.

الناشر: غروبو آبيلي (تورينو- إيطاليا) «باللغة الإيطالية».

سنة النشر: 2021.

عدد الصفحات: 288 صفحة.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

الإغلاق: كيف هزّ كورونا الاقتصادَ العالمي

آدم توز

مسلم غالب *

لا تكمن الصدمة الحقيقية لفيروس كورونا في عدد الوفيات - فقد كانت هناك أوبئة أكثر فتكًا - إنه «مستوى ردة الفعل»، كما كتب المؤرخ آدم توز في ما يسميه «أزمة شاملة في العصر الليبرالي الجديد»، عانى ما يقرب من 95٪ من اقتصادات العالم من انخفاض في الناتج المحلي الإجمالي، كما كتب، ويقدر البنك الدولي أن خسارة الأجور على المدى الطويل ستكون 10 تريليونات دولار. شهرًا بعد شهر، يغطي توز تطور الوباء، متتبعًا الإجراءات الحكومية في ووهان في يناير واستجابة إيطاليا في مارس مع دخول هذا البلد في حالة إغلاق.

عطل كورونا الروتين اليومي لكل إنسان على وجه الأرض تقريبًا، وعطل الحياة العامة، وأغلق المدارس، وعزل أفراد الأسرة، وأخر السفر، وجرف الاقتصاد العالمي إلى ركبتيه. قال آدم توز، المؤرخ البريطاني والأستاذ بجامعة كولومبيا: «لقد كشف عام ٢٠٢٠ بشكل غير مسبوق مخاطر ونقاط ضعف نظام عالمي موجه نحو السوق». لذلك من الصعب إنكار أنه قد تم الوصول إلى نقطة تحول.

إذا كان من الممكن تلخيص وضعنا في عام ٢٠٢٠ في كلمة واحدة، فهي كلمة «لا يصدق». في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ٢٠٢٠، عندما أعلن شي جين بينغ عن وباء كورونا، بعد عام واحد بالضبط، مع تقديم جو بايدن كرئيس للولايات المتحدة، وقع العالم في مرض مميت. في غضون ١٢ شهرًا ، قتل أكثر من ٢,٢ مليون شخص وأدى إلى إصابة عشرات الملايين بأعراض خطيرة. وبلغ عدد الوفيات المعلن عنها بشكل رسمي حتى الآن ٤,٥ مليون. العدد المحتمل للوفيات الإضافية هو أكثر من ضعف هذا العدد. عطل فايروس كورونا الحياة العامة والروتين اليومي لكل شخص على وجه الأرض تقريباً.

كان مدى المساعدة الحكومية للعائلات والشركات والأسواق لمنع التداعيات الاقتصادية لكورونا غير مسبوق إلا في أوقات الحرب. هذا الوضع، بالإضافة إلى كونه أخطر ركود اقتصادي منذ الحرب العالمية الثانية، كان لا مثيل له من حيث النوعية. لم يسبق لنا أن قررنا بالإجماع إغلاق أجزاء كبيرة من الاقتصاد العالمي. وكما قال صندوق النقد الدولي، فإن أزمة كورونا «لم تكن مثل أي أزمة أخرى». حتى قبل كارثة عام ٢٠٢٠، أظهرت الأدلة أن هذا العام صاخب. لقد وصل الصراع الصيني الأمريكي إلى مرحلة خطيرة. كانت «الحرب الباردة الجديدة» وشيكة. تباطأ النمو الاقتصادي العالمي بشكل حاد في عام ٢٠١٩. وأعرب صندوق النقد الدولي عن قلقه من اهتزاز التوترات الجيوسياسية للاقتصاد العالمي، الذي كان يعاني من ديون كبيرة. تشير الدلائل بقوة إلى أن مصدر المشاكل كان البيت الأبيض. نجح دونالد ترامب، الرئيس الخامس والأربعون للولايات المتحدة، في أن يصبح مصدر قلق عالمي. ترشح مرة أخرى في نوفمبر وقرر على ما يبدو تشويه سمعة العملية الانتخابية، حتى لو فاز. بصرف النظر عن المخاوف التي أثارتها واشنطن، كانت المحادثات الانتخابية على وشك الانتهاء. كانت القضية الأكثر إثارة للقلق بالنسبة لأوروبا في بداية عام ٢٠٢٠ هي احتمال اندلاع أزمة لاجئين جديدة. كان وراء الكواليس خطر التصعيد المروع للحرب الأهلية السورية ومشكلة التخلف المستمرة. كان العلاج الوحيد هو زيادة الاستثمار والنمو في الجنوب. لكن تدفق رأس المال كان غير مستقر وغير متوازن. بحلول نهاية عام ٢٠١٩ ، كان نصف المقترضين الأكثر ربحًا في إفريقيا السوداء قد وصلوا ببطء إلى نقطة لم يعد بإمكانهم فيها سداد أقساطهم.

كان الشعور السائد بالخطر والقلق الذي ساد الاقتصاد العالمي مأساة كبيرة. في الماضي غير البعيد، كان الانتصار الواضح للغرب في الحرب الباردة، وانتشار تمويل السوق، ومعجزات تكنولوجيا المعلومات، واتساع مجال تأثير النمو الاقتصادي، على ما يبدو، قد عزز موقف الاقتصاد الرأسمالي باعتباره المحرك بلا منازع للتاريخ الحديث. في التسعينيات، بدت الإجابة على معظم الأسئلة السياسية بسيطة: «إنها مسألة اقتصاد »، في الوقت الذي كان فيه النمو الاقتصادي يحول حياة مليارات البشر، غالبًا ما قالت مارغريت تاتشر، «لا يوجد بديل»، مما يعني أنه لا يوجد شيء يمكن أن يحل محل نظام الخصخصة، والحد الأدنى من الرقابة، وحرية نقل رأس المال والسلع. حتى عام ٢٠٠٥، كان بإمكان توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني، أن يعلن أن معارضة العولمة لا معنى لها مثل الجدل حول ترتيب فصلي الصيف والخريف.

في عام ٢٠٢٠، تم التشكيك في العولمة وترتيب الفصول. تحول علم الاقتصاد من الجواب إلى السؤال. أدت سلسلة من الأزمات العميقة - بدأت في آسيا في أواخر التسعينيات وانتهت بالنظام المالي الأطلسي في عام ٢٠٠٨، ومنطقة اليورو في عام ٢٠١٠ والمنتجين العالميين في عام ٢٠١٤ - إلى تآكل اقتصادات السوق. لقد تم التغلب على كل تلك الأزمات، ولكن بمساعدة الإنفاق الحكومي وتدخلات البنوك المركزية، والتي أثبتت عدم مصداقية المبادئ الراسخة لـ «الحكومة الصغيرة» والبنك المركزي «المستقل». خلقت هذه الأزمات تكهنات، وكان مدى التدخلات اللازمة لتحقيق الاستقرار فيها تاريخيًا. ومع ذلك، فإن نمو ثروة الرأسماليين العالميين لم يتوقف، كانت المكاسب شخصية لكن الخسائر كانت عامة. يتساءل الكثيرون الآن، هل من المدهش أن يقود الظلم

الجامح إلى قيام دولة شعبوية؟ في غضون ذلك، وبسبب التقدم الاستثنائي للصين، لم تعد آلهة النمو الاقتصادي العظيمة تدعم الغرب.

ثم في يناير ٢٠٢٠، نُشر الخبر الشهير من بكين. ابتليت الصين بتفشي وباء فيروس كورونا الجديد. كان كورونا هو «العاقبة» التي حذر منها نشطاء البيئة منذ سنوات. ولكن نظرًا لأن أزمة الطقس أجبرتنا على التعامل مع الكوكب على نطاق عالمي وتحديد جدولنا الزمني للعقود القادمة، كان فيروس كورونا صغيرًا جدًا ومنتشرًا في كل مكان وسريع الخطى، ويستغرق أسابيع وأياما. بالإضافة إلى اقتصادات وطنية محددة، أثار كورونا أيضًا تساؤلات حول الاقتصاد العالمي.

عندما ظهر فيروس كورونا المتلازمة التنفسية الحادة، كانت نفس الكارثة التي تم التنبؤ بها، بالضبط نفس المرض المعدي، مثل الإنفلونزا، الذي توقعه علماء الفيروسات. جاء كورونا مما توقعوه، التقاء الحياة البرية والزراعة وسكان المدن في شرق آسيا. كما هو متوقع، انتشر الفيروس عبر شبكة النقل العالمية. بصراحة، كورونا كان قادماً منذ فترة طويلة.

كان هناك عدد أكبر من الأوبئة الفتاكة، لكن الجديد تمامًا بشأن كورونا في ٢٠٢٠ كان مستوى ردة الفعل. لم تكن الدول الغنية وحدها هي التي أنفقت مبالغ كبيرة لدعم المواطنين والشركات، ولكن أيضًا الدول الفقيرة والمتوسطة التي كانت على استعداد لدفع مبالغ كبيرة من المال. بحلول أوائل أبريل، باستثناء الصين، التي تمكنت بالفعل من احتواء الفيروس، انخرطت معظم دول العالم في جهد غير مسبوق لوقف انتشار كورونا. أصبحت كلمة «إغلاق» عبارة شائعة لوصف رد فعلنا الجماعي. الكلمة نفسها مثيرة للجدل. يجلب الإغلاق إلى الأذهان الإكراه. قبل عام ٢٠٢٠، تم استخدام المصطلح للإشارة إلى العقاب البدني في السجون. في زمن كورونا، كانت هناك لحظات وأماكن كانت فيها عبارة إغلاق مناسبة. في دلهي وباريس، قامت الشرطة المسلحة بدوريات في الشوارع، وكتبت الأسماء والأرقام ومعاقبة من يخالف قواعد المرور. بشكل مفاجئ، في جمهورية الدومينيكان، ألقت الشرطة القبض

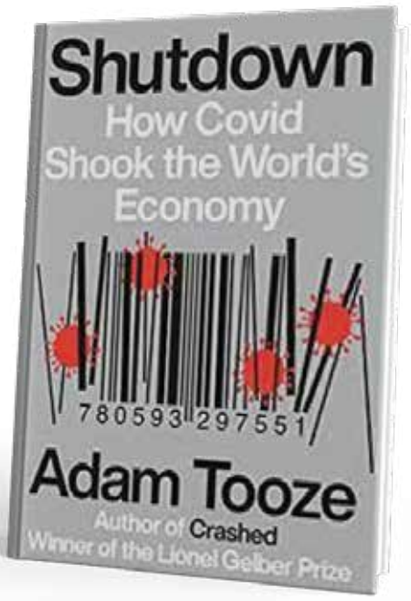

على ٨٥٠٠٠ شخص - حوالي ١٪ من السكان - لخرقهم حظر التجول. الإغلاق القسري لجميع قاعات الطعام واستخدام الحكومة المتكرر للعنف، على الرغم من عدم وجود أعمال عنف، اعتُبر قمعيًا من قبل أصحابها وزبائنها. لكن من الواضح أن رد الفعل الاقتصادي على كورونا لم يكن مجرد إغلاق. انخفض الحراك الاقتصادي بسرعة قبل وقت طويل من إصدار الأوامر الحكومية. بدأت الأسواق المالية في الهروب من الهامش الآمن في أواخر فبراير. لم يكن حارس السجن هو الذي سيغلق الباب بإحكام، لكن المستثمرين كانوا يحاولون فقط إنقاذ أنفسهم. كان العملاء يقيمون في المنزل. تم إغلاق الشركات أو تشغيلها من المنزل. بحلول منتصف شهر مارس، أصبحت العطلات شائعة.

هذا التعديل الواسع لمصطلح «إغلاق» هو مؤشر على مدى الجدل الذي كانت عليه سياسة كورونا. أصبحت المجتمعات والأسر مترسخة بشكل متزايد في التنكر والمسافة الاجتماعية والحجر الصحي. كانت تجربة كورونا مثالاً، على نطاق واسع، لما أطلق عليه عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك «المجتمع المحفوف بالمخاطر» في الثمانينيات. نتيجة لتشكيل المجتمع الحديث أصبحنا، بشكل جماعي ، منشغلين بتهديد غير مرئي لا يراه إلا العلم. الخطر الذي يظل مجردًا وغير مادي حتى يصاب المرء بالمرض ويغرق من هو سيئ الحظ ببطء في السائل الذي يتراكم في رئتيه.

أعاد انتخاب جو بايدن وتنصيبه في الوقت المحدد، في ٢١ يناير ٢٠٢١، الشعور بالهدوء. لكن عندما يعلن بايدن بتهور أن «أمريكا عادت»، يتضح بشكل متزايد أن سؤالنا التالي يجب أن يكون: أي أمريكا؟ وبالعودة إلى ماذا؟ قد تكون أزمة الليبرالية الجديدة الشاملة قد خلقت قوة فكرية إبداعية، حتى بين المعتدلين الذين ظلوا صامتين لبعض الوقت. لكن العصر الجديد لا يأتي بأزمة فكرية. إن فهم أننا نستطيع بالفعل تمويل كل ما يمكننا القيام به يضعنا في مأزق. ما الذي يمكننا فعله حقًا وماذا يجب أن نفعل؟

تُظهر بريطانيا والولايات المتحدة والبرازيل أن السياسات الديمقراطية تتخذ أشكالًا جديدة غريبة وغير مألوفة. ازدادت التفاوتات الاجتماعية لكنها لم تنخفض. على الأقل في البلدان الغنية، لا يوجد إنصاف جماعي. يستمر تراكم رأس المال من خلال القنوات التي تزيد المخاطر باستمرار. الجزء الأكبر من حريتنا الاقتصادية المكتسبة حديثًا هو الجهود التي لا معنى لها على نحو متزايد لتحقيق الاستقرار الاقتصادي. تفصل المواجهة بين الغرب والصين أجزاء كبيرة من العالم لم نشهدها منذ الحرب الباردة. والآن كشّر الوحش عن أنيابه لكن ليس كما ينبغي. يجب أن نتوقع أحداثًا أسوأ بكثير من كورونا؛ فعام ٢٠٢٠ لم يكن ضوءًا أحمر. إذا تحسن وضعنا قليلاً، يجب أن نفكر. من غير المعروف عدد الضحايا في جميع أنحاء العالم، لكننا نقدر عددهم في أفضل الأحوال بـ ١٠ ملايين. يموت الآلاف كل يوم. وكان عام ٢٠٢٠ بمثابة جرس إنذار بالنسبة لنا.

الكتاب: الإغلاق: كيف هز كورونا الاقتصاد العالمي
المؤلف: آدم توز
دار النشر: ألان لين
عدد الصفحات: 368
سنة النشر: 2021
اللغة: الإنجليزية

* كاتب و مترجم عربي، مقيم في عُمان

الثقافة البيئية

بيير شاربونييه

سعيد بوكرامي *

هناك أمور جسيمة وجديدة تحدث تحت سمائنا، منها العمليات الفيزيائية والكيميائية المثيرة للقلق التي تتحكم في النظام البيئي للأرض، والمسار التطوري للكائنات الحية، وتكوين التربة والمياه، كل هذه الظواهر البيئية تدل الآن على أنَّ الأنشطة البشرية تغير الطبيعة وتسير بها نحو أزمة حقيقية ووضع دراماتيكي.

تأتي الاهتمامات البيئية لتفتح ثغرات في المفاهيم السائدة للتقدم والتنمية والثروة، وبشكل أوسع، في الفكرة نفسها التي تصورناها عن التعايش الاجتماعي. تهدف الثقافة البيئية إلى لفت انتباه أكبر عدد ممكن من الناس إلى المناقشات التي تنظم المسألة البيئية اليوم. تجمع هذه المناقشات بين علوم الأرض والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد، فضلاً عن الفلسفة. وهي تدعو جميعها إلى مساءلة تنظيم المعرفة والأعراف السياسية والإطار التقني للطبيعة.

اشتهر بيير شاربونييه من خلال كتابه: « الوفرة والحرية» ذي الطابع الأكاديمي الصادر عام ٢٠٢٠ الذي واكبته تغطية إعلامية واسعة، أما في كتابه الجديد «الثقافة البيئية» فيقترح دليلًا إجرائيا موضحًا بالصور والبيانات والمراجع. قد يكون الكتاب موجها للطلبة أو أي مهتم يرغب في أن يطلع على تنوع القضايا الرئيسية والمراجع الأساسية التي أثارتها بداية «الأزمة البيئية»، لذلك يقدم هذا الدليل نظرة عامة فعَّالة للسماح أيضا لغير المهتمين والمبتدئين كي يجدوا اتجاهاتهم، والحصول على الوسائل لتعميق النقاط البيئية التي تبدو لهم أكثر حسماً. ومع ذلك لا يتوقع القارئ تفاصيل عميقة ومتخصصة، لكنه بالمقابل سيجد في نهاية كل فصل من الفصول الثمانية، إشارات ببليوغرافية مفيدة للغاية تجمع بين المراجع الأكاديمية الأكثر صرامة (المنفتحة على اللغة الإنجليزية)، وعناصر من الثقافة الشعبية (من الأفلام إلى الرسوم المتحركة)، وخاصة تلك المقالات ومقاطع الفيديو المتاحة على الإنترنت.

يبدأ الفصل الأول من أصول البشرية ثم يعالج بعض الحقائق الرئيسية للحياة وعلوم الأرض («الأكسدة الكبيرة»، «المنطقة الحرجة» أو «فرضية غايا»). ومن عصور ما قبل التاريخ البشري، يستخلص المؤلف هذا الدرس المقنع: «التكنولوجيا هي بُعد جوهري للواقع البشري. بعبارة أخرى، لا يعرف الإنسان العاقل علاقة أخرى بالعالم غير تلك التي خبرها بواسطة الأدوات»(ص ٣٣). من ناحية أخرى، فإن الملاحظة التي تفيد بأنه «حتى فترة قريبة، من القرن التاسع عشر، كان تاريخ الأرض يقدم أساسا من خلال الروايات اللاهوتية» (ص ٣٦) لكن تبدو هذه الملاحظة مبالغا فيها: وهذا يعني أننا نسينا بسرعة التقليد الفيزيائي بأكمله، الذي اقترب بالفعل من الظواهر الجيولوجية والبيولوجية دون ربطها بأغراض الوجود البشري. كما ترسخ الحداثة، هذا التناقض في صميم علاقاتنا مع البيئة: «لا يمكننا حماية الطبيعة إلا إذا افترضنا مستوى معينًا من الهيمنة على العمليات التي تنشطها» (ص ٥٠). وينتهي القسم بالحاجة إلى إعادة التنمية الاقتصادية كلها إلى قاعدتها «الأيضية» أو «الطاقيّة»، حيث يلعب البعد الاستعماري دورًا رئيسيًا.

أما الفصل الثاني، وهو من أكثر الفصول إثارة، فيتناول «ثورة العصر الحجري الحديث» بحيث يبرز الكاتب كيف أن تفسيرها يقع في قلب تمثيلاتنا السياسية والدينية. في الواقع، ترتبط «الأساطير السياسية الحديثة» بأكملها (ص ٨٩) بشكل وثيق بالتطور الذي أتاحه هذا التعميم للزراعة والثروة الحيوانية بالمؤسسات السياسية المركزية (الدولة) والنظام الاجتماعي غير المتكافئ. ومع ذلك، وبعد تطرقه إلى أعمال ديفيد غريبر وريمي حداد، يؤكد المؤلف أن نمط الإنتاج الزراعي يمكن أن يتعايش مع أنظمة اجتماعية مختلفة تمامًا، بدون إدراجه في «ثورة العصر الحجري الحديث»، كان التطور الاقتصادي والتقني والاجتماعي الذي عشناه مجرد إمكانية يتيمة من بين أمور أخرى كافية «لإعادة فتح احتمالات سياسية شتّى» (ص ٩٠).

يبدو الفصل الثالث من أكثر الفصول إثارة للتساؤل من وجهة نظر فلسفية. فهو يفحص موضوع «الحداثة التي نشأت منذ القرن السابع عشر في أوروبا الغربية» (ص ٩٧)، بناءً على مفاهيم العلم والتقدم والغزو الإقليمي. لكن المؤلف نفسه يستسلم لرواية غائية تبسيطية: تقول بأن «الفيزياء اليونانية طبعت بالميتافيزيقيا حتما» (ص ٩٩)، والتي ينسبها العلم الحديث منذ غاليليو إلى المنطق الديكارتي أو صيغة «الرياضيات العالمية» (ص ٩٩). لا شيء أبعد عن الحقيقة: في الواقع، لم تختف الشحنة الميتافيزيقية للعلم مع الحداثة، بل على العكس تمامًا، ومن حسن الحظ أن النهج التجريبي أو الوصفي كان يمارس قبل القرن السابع عشر. تمتد هذه المقولات المجانبة للصواب عندما ينسب المؤلف إلى ديكارت استقراءً لنجاحات المنهج التجريبي «مثل القدرة المطلقة للعقل البشري على مواجهة الطبيعة» (ص ١٠٠). عموما، يعتبر هذا الاستحضار للعلم الحديث الجزء الأكثر هشاشة في الكتاب، وخير مثال على ذلك التسلسل الزمني غير المؤكد للعلماء الوارد ذكرهم مثل: «كوبرنيك، وغاليليو، ونيوتن، ثم لايبنيز و كارل لينيوس « (ص ١٠٢). من خلال نقل هذه الرؤية المتجانسة لظهور العلم الحديث، يقلل المؤلف من كل إمكاناته. إنه يمنع بالضبط ما ينوي الترويج له، من إعادة القراءة البيئية للحداثة - «إعادة كتابة معرفتنا بالماضي في ضوء المشكلة البيئية» (ص ٣٢٧) مما يعني إعادة اليوم فتح إمكانات الفكر الحديث، وعدم إغلاقها جميعًا على عقلانية باردة ومدمرة.

يركز الفصل الرابع على «التناقضات المادية» (ص ١٣٧) للرأسمالية، ويقدم، بواسطة صياغة التاريخ والفلسفة والاقتصاد، نظرةً ثاقبة وعامة: بدءا بمفهوم الاشتراكية عند بيير ليرو (ص ١٤٣) إلى مفهوم «المشاعات»، مروراً بـ «منحنى كوزنتس البيئي» (ص ١٤٦)، دون أن ننسى مدينة الحدائق لدى إبينيزر هوارد (ص ١٥٠). يقترح المؤلف بطريقة مثيرة للاهتمام أن «توصيف البرية كمصدر للخطر يلعب دورًا مركزيًا في إضفاء الشرعية على الافتراس البيئي» (ص. ١٤٤)، ثم يستدعي بعد ذلك العلاقة الوثيقة «بين الحرب والافتراس البيئي» (ص ١٦٣) ويستدل عليه بمفهوم «الإبادة البيئية» الذي ظهر على وجه التحديد في سياق الحرب في فيتنام.

أما الفصل الخامس، فيوجه «انتقادات مختلفة للتقدم»، مستحضرا عدة شخصيات منها البريطاني توماس كارلايل (الذي ندين له بإدخال مصطلح «البيئة»، ص

١٧٥)، وما كتبه جون روسكين ووليام موريس. وعند ذكره «للنقد التبعي»، فإن المؤلف يستحضر بروعة أفكار غاندي وفلسفته البيئية، الذي «يُخضع التوقعات المادية من أجل الحفاظ على الروح» (ص ١٨٩). إن استنتاج هذا القسم بسيط ولكنه مهم: فهو يشير إلى «التناقض الأيديولوجي» في علاقته بالطبيعة (ص. ١٨٢) مثيرا السؤال الذي لا يزال مطروحا وبإلحاح «عن الطبيعة التقدمية أو المضادة للتقدم للبيئي» (ص ١٩٧)).

بينما يناقش الفصل السادس التيارات الرئيسية الثلاثة للحركة الاجتماعية البيئية، فيهتم أولاً بـ «البيئة العالمية»، التي روجت لها المؤسسات الدولية منذ منتصف القرن العشرين، حول الشخصية المربكة لجوليان هكسلي (مؤسس الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة (IUCN) والصندوق العالمي للحياة البرية، والرائد في تحسين النسل). ثم يدرج الكتاب، مبادرات الستينيات، مع حملة «حماية البيئة في الشمال والجنوب»، بدءا بمساهمة راشيل كارسون وصولا إلى جوان مارتينيز أليي. ويعتبر هذا الفصل من أعظم نقاط قوة هذا الكتاب؛ لأنه يأخذ في الحسبان تمامًا الأدب القادم من الجنوب. وأخيرًا، يناقش المؤلف «البيئة الحزبية» منذ سبعينيات القرن الماضي، عند أندريه غورز، وإيفان إليش، ورودولف باهرو، وخصوصا مع ظهور «الأحزاب الخضراء» في أوروبا. وهنا، ينتهي بيير شاربونييه إلى الموافقة على فلسفتها البيئية، دون التعمق كثيرا (لأن الصيغة لها نبرة نيوليبرالية خطيرة)، خصوصا ما يروج له عن فكرة «أزمة دولة الرفاهية» (ص ٢٣٧)، ولا يطرح بما فيه الكفاية صيغا متناقضة بشكل واضح عن الائتلاف البيئي الذي «يجمع جزءًا كبيرًا من الفئات الاجتماعية الأكثر تعليماً» (ص ٢٣٧) بينما «تظل الطبقات الشعبية والعاملة منكفئة تعتمد هيكليًا على المصفوفة الإنتاجية» (ص ٢٣٦). أليست هذه علامة على تعثر في التفكير؟ ويدل على ذلك «النزعة البيئية لدى الفقراء» في أوروبا، التي يجب أن تدمج بشكل أفضل في مصير وقيم الطبقات الاجتماعية الأقل حظًا؟ لا ينحاز المؤلف إلى هذه المشكلة الأساسية للإيكولوجيا السياسية، بل يقتصر على ملاحظة أن «ولادة الأحزاب الخضراء تعكس الانقسام داخل الحركة اليسارية» (ص ٢٣٨).

يفحص الفصل السابع «اقتصاديات تغير المناخ» من جوانبها الثلاثة. يدرس بداية «الرأسمالية الخضراء» وإجراءاتها غير الفعالة، بناءً على المفاهيم الاقتصادية الرئيسية «القيمة الخارجية» و«رأس المال الطبيعي»: يرى المؤلف أن ثمة «مصادرة للمستقبل من قبل المصالح قصيرة الأمد» (ص. ٢٦٠-٢٦١). إنها «الصفقة الخضراء الجديدة» الأكثر إقناعًا من حيث «إعادة بناء حل وسط

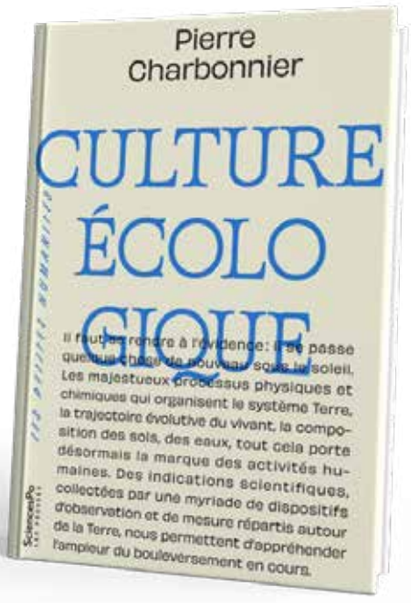

اجتماعي. قادر على دمج حدود الكوكب» (ص ٢٦٩). في مواجهة هذا السؤال الجوهري، حول «إشكالية محرك الخوف في السياسة الحديثة» (ص ٢٦٤)، من الواضح أن استقلالية السوق لم تعد قادرة على الطمأنة: على العكس من ذلك، فقد صارت «عامل مخاطرة «مقابل إجماع حول التقارب بين ما هو اجتماعي وإيكولوجي» (ص ٢٦٧). نحن نشترك عن طيب خاطر في مشروع «الصفقة الخضراء الجديدة»، حتى لو لم تحدد المشاريع الاستثمارية ذات الأولوية (العزل الحراري بدلاً من السيارات الكهربائية؟) ولا مسألة التمويل (مسألة عدم المساواة، مع تحديد مستوى الثروة وإخضاعه للضريبة). ثم يناقش المؤلف بعد ذلك تيارات «تراجع النمو، النسوية البيئية وما بعد الاستعمار» من الواضح أن «تراجع النمو» ليس نعمة، لأنَّ المؤلف لا يرى فيه سوى مشروع نظري، «يترك إمكانية التعبئة الاجتماعية الملموسة غير واقعية»، ويشكل « نداء سلبياً لا يعطي المضمون السياسي للمشروع البديل المزمع بناؤه خصوصيته المطلوبة «(ص ٢٧٩). ويبقى السؤال المثير للاهتمام، حول ما عملت عليه النسوية الإيكولوجية طوال سنوات نضالها بحيث اقترحت «إعادة اختراع الإنتاجية» التي من شأنها أن تتجاوز الهوس الإنتاجي من خلال إعطاء قيمة أكبر لعمل «إعادة الإنتاج» (ص ٢٨٤)، وهو ما يضمن المحافظة على الموارد وتوفير وظائف للمجموعة الاجتماعية الأساسية.

يتناول الفصل الثامن العلاقة بين البشر والبيئة عامة ملحا على الحاجة إلى «تنمية الروابط التي توحدنا»، (ص ٣٢١)، إلى أي مدى تتطلب المشكلة البيئية «ثقافة» مناسبة لفهمها، بناءً على مجموعة كاملة من المعرفة. تلك على وجه الخصوص لا تنشأ إلا من الاهتمام الموجه لعلاقاتنا مع الحيوانات، والتي يمكن أن تنشأ عنها معايير أخلاقية جديدة: وبالتالي، فإن «مرافقة الأطفال للحيوانات البرية أو الداجنة ومعرفة الترابط البيئي الأولي، يمكن اعتباره شرطًا من شروط التماسك الاجتماعي «(ص ٣٠٠). يستحضر المؤلف بعد ذلك «الإيكولوجيا الزراعية»، لكنه يخلط بين «اليوتوبيا الملموسة» و «اليوتوبيا الحقيقية» فيما يتعلق بما كتبه إريك أولين رايت (ص ٣٠٦) ما هو نوع المجتمع الذي يمكن أن ينشأ من استيعاب القيود المناخية؟ وهنا يطرح الكتاب سؤالا ذكيا. وفي السياق ذاته يذكر الكتاب إجراءا ملموسا مهما، ونقصد به «الأسبوع المؤلف من أربعة أيام» (ص ٣٠٩) للحد من استخدام وسائل النقل الملوثة. كما يستنتج المؤلف أن «دمج العدالة الاجتماعية لإعادة تنظيم المجتمع لم يعد مسألة بديهية» (ص ٣١٣): «هل الاهتمام البيئي يتحدد بالكامل من خلال الانتماء الطبقي إلى فئة ميسورة أو يمكن دعمه بواسطة كتلة من السكان بما في ذلك الطبقات العاملة المنتقدة والواعية؟ (ص ٣١٢). وهذه معضلة أخرى تتمحور حول ما نسميه بالنطاق الديمقراطي الكامل للقضية البيئية، التي لا تزال دون حل.

وفي الأخير تدعونا خاتمة الكتاب إلى فرض منهاج تعليمي ل«الثقافة البيئية» في المدارس، يشمل معرفة بالآلات والبنى التحتية الأولية («محطات الطاقة، وتنقية المياه، والتخلص من النفايات» (ص ٣٢٩). ليصبح المواطن مطلعًا على هذه القضايا الأساسية، يجب التمسك بفكرة «محو الأمية البيئية للمجتمع» (ص ٣٢٥) لأن معلمي التكنولوجيا في المدرسة الإعدادية، ومدرسي علوم الحياة والأرض في المدرسة الإعدادية والثانوية، يواجهون هذا التحدي بالفعل. علاوة على ذلك، لم يكن «التعليم والتدريب على الثقافة البيئية» يهدف إلى خوض حراك بيئي من أجل محاربة توحش وتوغل الليبرالية الجديدة، وإنما هدفه غرس المبادئ الأولية البسيطة للحفاظ على البيئة التي تبيَّن أنها غير كافية وليست فعالة أمام الأزمة البيئية الخطيرة القادمة مع المنتصف الثاني من القرن الواحد والعشرين.

الكتاب: الثقافة البيئية
المؤلف: بيير شاربونييه
دار النشر: باريس منشورات Sciences Po
سنة النشر:2022
عدد الصفحات: 333 صفحة
اللغة: الفرنسية.

* كاتب ومترجم مغربي

علـم تغيـر المنـاخ: أسباب الاحترار العالمي وآثاره وحلوله

ديفيد س. تينغ وجاكلين أ. ستاغنر

حامد عبد الرحيم عيد *

تستمر التغييرات المناخية، فإذا ما واصلنا مسيرتنا الحالية، سوف تتغير الحياة على الأرض بشكل لا ينفصم. لقد أصبحت استدامة نظام دعم الحياة على الأرض موضع تساؤل الآن، فكيف وصلنا إلى هذه النقطة المحورية في تاريخنا؟ لآلاف السنين، ظل مناخ الأرض يتغير قليلاً. ازدهر البشر الأوائل، وعاشوا على وفرة من النباتات والحيوانات، فطهوا طعامهم ودفأوا مساكنهم بالخشب نتاج عملية التمثيل الضوئي- فتم إزالة ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي وتحويله إلى مادة عضوية حية، وأعاد حرق الخشب نفس الكمية من الكربون إلى الغلاف الجوي. حدثت تغيرات طبيعية في مناخ الأرض، بشكل تدريجي، وعلى مدى عشرات الآلاف إلى ملايين السنين. وفجأة، قبل ٢٠٠ عام، بدأت الأمور تتغير، فقد أدى الطب الحديث والتحسينات في التكنولوجيا إلى انفجار سكاني، فتسعة وتسعون في المائة من جميع البشر الذين عاشوا هم على قيد الحياة اليوم. وأصبح الوقود الأحفوري (الفحم أولاً، ثم النفط والغاز) مصدر الطاقة المفضل- مما سهل التصنيع السريع والمزيد من استهلاك الوقود الأحفوري. على عكس الخشب، حيث تشكل الكربون الموجود في الوقود الأحفوري ببطء من النباتات المتحللة منذ ملايين السنين وتم تخزينه في قشرة الأرض، وكان أن أدى حرقه على مدار الـ ١٥٠ عامًا الماضية إلى زيادة مستوى ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي بنسبة ٣٣٪. وهو أحد غازات الدفيئة التي تحبس الحرارة في الغلاف الجوي السفلي، مما حافظ على كوكبنا دافئًا. ومع ذلك، مثل العديد من الأشياء في الطبيعة، القليل مفيد، لكن المزيد ليس بالضرورة أفضل. فإذا واصلنا اعتمادنا الشديد على الوقود الأحفوري، فسوف يتضاعف مستوى ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي قبل الصناعة في غضون بضعة عقود وربما يتضاعف ثلاث مرات بحلول نهاية هذا القرن. نتيجة لذلك، وفقًا لمعظم التقديرات، سوف ترتفع درجة حرارة الكوكب بسرعة إلى مستوى لم يشهده البشر أبدًا. ستكون هناك عواقب. في حياتنا الحديثة المتسارعة، ننسى أن رفاهيتنا لا تزال مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بصحة الكوكب. تعتمد صحتنا وبقاؤنا على الزراعة المنتجة وإمدادات المياه ومنتجات الغابات والأسماك. كل هذا يعتمد بدوره على المناخ الملائم. التغييرات في أي من هذه أو جميعها، نتيجة لتغير المناخ، سوف تؤثر على الاقتصاد. تغير المناخ من صنع الإنسان هو الآن ظاهرة معترف بها. لقد تحسنت قدرتنا على التنبؤ بكيفية تغير المناخ وكيف ستؤثر هذه التغييرات على النظم البيئية وعلى البشر بشكل ملحوظ خلال العقد الماضي. ويستمر الجدل حول الدرجة الدقيقة للتغيير في المستقبل، وهناك العديد من الشكوك. يجادل البعض بضرورة اتخاذ تدابير فورية وجذرية لوقف انبعاثات غازات الاحتباس الحراري قبل فوات الأوان. ويجادل آخرون بأن الإجراء سيكون مكلفًا ويجب تأجيله حتى يتم الانتهاء من المزيد من البحث.

أعتقد حقًا أن مسارنا الحالي، دون تغيير، سيسبب مشقة لملايين البشر، ولا سيما الفقراء. وغالبًا ما يتفاعل البشر فقط في مواجهة الأزمات. في عمر الإنسان، يكون تغير المناخ بطيئًا، وبالكاد يمكن إدراكه، ولا يفهم آثاره المحتملة سوى قلة. ومع ذلك، في المستقبل غير البعيد، سيكون من المستحيل إنكار التأثيرات مع وصول التغييرات إلى مستوى الأزمة. إن وصف كيف يتسبب البشر في تغير المناخ، وما هي الآثار التي يمكن أن نتوقعها من هذا التغيير، وما الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتقليل تغير المناخ وتأثيراته. إذا كان هذا الكتاب يساهم بأي شكل من الأشكال في نشر المزيد من المعلومات للجمهور، فسيكون قد أدى الغرض منه.

كتاب علم تغير المناخ: أسباب الاحترار العالمي وآثاره وحلوله: يقدم معارف علمية غير متحيزة ومتطورة حول تغير المناخ وحلولا هندسية للتخفيف منه، فيتوسع الكتاب إلى جميع الحلول الرئيسية المرتقبة لمعالجة تغير المناخ بطريقة متكاملة، ويشرح بشكل شامل مجموعة متنوعة من الحلول المناخية المتاحة حاليًا، بما في ذلك التحديات المتبقية المرتبطة بكل منها. كما يتم مقارنة بعض المقترحات الأكثر خطورة من الناحيتين النوعية والكمية وتتناقض مع إجراءات التخفيف المنخفضة المخاطر لتيسير صياغة حلول مجدية وملائمة للبيئة. فالكتاب يوفر أبحاثًا حديثة وشاملة حول أسباب وآثار تغير المناخ - سواء من صنع الإنسان أو الطبيعة، ويشرح البيانات العلمية وراء تغير المناخ من منظور متعدد التخصصات، كما أنه يصف الآثار المستقبلية لتغير المناخ وضرورة التنفيذ الفوري، وأخيرا يقدم حلولاً صديقة للبيئة ويحلل بشكل نقدي الفوائد والعيوب.

يتضمن الكتاب ١٢ فصلا تتحدث في مجموعة من المعارف حول: الهندسة لتغير المناخ، وإيجابيات وسلبيات تغير المناخ، ومن صنع الإنسان مقابل الأسباب الطبيعية، والسكان والتحضر وتغير المناخ، ووجهة نظر بديلة، وديناميات الأرض ذاتية الضبط، ومعادلة تغير المناخ، ومتى يتم استنفاد الطاقة الشديدة؟، والقانون الثاني للديناميكا الحرارية وتغير المناخ، وما هي عتبة يوم القيامة؟، وهل ثاني أكسيد الكربون مقياس دقيق؟، وحلول واسعة النطاق، والتخفيف من المخاطر المنخفضة وأخيرا أعماق البحار وتغير المناخ.

يزود الكتاب الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا وغيرهم من القراء المهتمين بالعلوم البيئية وتغير المناخ وعلوم الغلاف الجوي والهندسة بالمعلومات التي يحتاجونها لدعم أدوارهم. فمن خلال استكشاف المعلومات الأساسية المتاحة حاليًا، واستخدام الطاقة، والحلول واسعة النطاق، والحلول الحالية. لذا يعد الكتاب مصدرا مهما حول كيفية معالجة تغير المناخ من منظور هندسي باستخدام النماذج والحسابات العلمية ويزيد من قوة الدفع باتجاه التدخلات واسعة النطاق للغلاف الجوي بأكمله المحرك لنظام مناخ الأرض قوة. هنا يمكن للمثقفين أن يفترضوا أن هذا ليس سوى خيال علمي بعيد المنال لن يحدث أبدًا. بعد كل شيء، من في عقله الصحيح سيتخذ إجراءً محفوفًا بالمخاطر مثل إنشاء انفجار ذري في طبقة الغلاف الجوي الخارجية في محاولة لتقليل الإشعاع الشمسي الذي يصل إلى سطح الأرض؟

دعونا نتذكر «أزمة ورق التواليت لعام ٢٠٢٠» لسنوات عديدة قادمة، ونأمل أن نعد أنفسنا بشكل أفضل في منع المأزق المقبل و / أو التخفيف من حدته و / أو التعامل معه. كما قال أندرسن (٢٠١٧)، «يخشى الكثير من أنه عندما يدرك قادة العالم أخيرًا خطر تغير المناخ، فإنهم سيقفزون في مشاريع هندسية دون أي قاعدة أدلة، مما يعرضهم لخطر الآثار الجانبية غير المعروفة الحجم.» إن فكرة التحكم في أعداد هائلة من الجنس البشري وهندستها هي أكثر واقعية من مجرد أفلام مسلية. ماذا عن هندسة البشر ليصبح عدم تحمل اللحوم من أجل القضاء على انبعاثات الدفيئة من صناعة الثروة الحيوانية؟ ناهيك عن تقليص الأجيال القادمة إلى كائنات أصغر بحيث تستهلك كميات أقل. وهنا تدخل هذه الأشكال وغيرها من أشكال الهندسة

البشرية في المناقشات العلمية السائدة. ووفقًا لـ Reader (٢٠٢١)، «قد يكون التركيز، وربما الإفراط في التركيز، على دور ثاني أكسيد الكربون في تغير المناخ الفعلي معتدلًا مع توفر المزيد من البيانات، ولكن فقط بقدر ما يلزم أن يكون دور العوامل الأخرى المساهمة في تغير المناخ الفعلي تم توضيحها وقياسها وإدراجها في نماذج تنبؤية أفضل «. ما هي العوامل الأخرى المساهمة؟ دعونا نستنير برأي عالم الفيزياء الفلكية خبيبولو أكبدوساماتوف الذي أشرف على مشروع Astrometria للقسم الروسي من الفضاء الدولي، محطة ومختبر أبحاث الفضاء في مرصد بولكوفو التابع لأكاديمية العلوم الروسية في سانت بطرسبرغ. خلص أكبدوساماتوف إلى أن «الاحتباس الحراري لا ينتج عن انبعاث غازات الدفيئة في الغلاف الجوي، ولكن من مستوى عالٍ غير عادي من الإشعاع الشمسي ونمو مطول - طوال القرن الماضي تقريبًا - في شدته. ليس سراً أنه عندما ترتفع درجات الحرارة في محيطات العالم تؤدي إلى انبعاث كميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي. لذا فإن الرأي السائد بأن النشاط الصناعي للإنسان هو عامل حاسم في ظاهرة الاحتباس الحراري قد ظهر من سوء تفسير لعلاقات السبب والنتيجة «. فهذا يعفينا من الإشراف الجيد على الكوكب الجميل الذي نعيش فيه، ومشاركته مع الأنواع الوفيرة والرائعة. مثال على ذلك، فقد حدد Swithinbank et al. (٢٠١٩) كيف يعزز اللاهوت المسيحي الحفاظ على البيئة ويعزز الحركات الاجتماعية الشعبية من أجل التنمية المستدامة.

ومع ذلك، كيف يمكننا إحداث تأثير إيجابي دون اللجوء إلى التدخلات واسعة النطاق؟ يبدو التحدي الوشيك مربكًا للشخص العادي، على الأقل يبدو أن الجهود الفردية لن تؤثر. هل هناك شيء يمكننا فعله إذن؟ الإجابة على هذا السؤال الحيوي موجودة في «قصة نجم البحر» بقلم لورين إيزيلي. ها هي نسختنا المعدلة التي تنقل الرسالة البارزة. في أحد الأيام، كان رجل يسير على طول الشاطئ عندما لاحظ صبيًا يلتقط نجم البحر العالق ويرمي به في البحر. فاقترب من الولد وسأله «أيها الشاب، ماذا تفعل؟» أجاب الصبي، «إذا لم أرم نجم البحر، سيموت بالتأكيد.» هتف الرجل، «ولكن هناك الآلاف منها. ما الفرق الذي يحدثه؟ « ابتسم الصبي وهو يرمي نجم بحر آخر في البحر، «هذا يحدث فرقًا مع هذا.»

وهنا فإن الكتاب يهدف إلى نشر المعرفة العلمية الحديثة المنفتحة حول تغير المناخ والحلول الهندسية للتخفيف من حدته. ويشجع على مناقشة الأفكار الكبيرة، مثل إقامة شبكة على طول الشاطئ لمنعها. غسل نجم البحر إلى الشاطئ، أو على نحو مشابه، درع شمسي على نطاق عالمي. لا ينبغي تبييض الآثار غير المؤكدة بعد هذه الطرق ؛ على

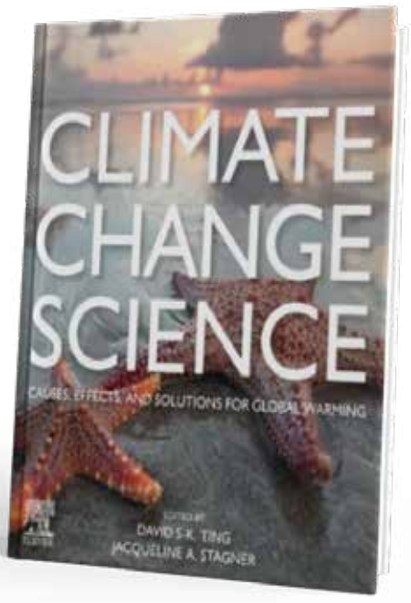

سبيل المثال، عنوان مقال لانجين (٢٠١٨)، «الدرع الشمسي يمكن أن ينقذنا من تغير المناخ. لكن انهياره المفاجئ سوف يقضي على الكوكب «، وحده يقول كل شيء. حول نفس الموضوع، لقد دق سلمان Sillmann et al. (٢٠١٥) ناقوس الخطر، «إن خطر إعلان حالة طوارئ مناخية يتفاقم أكثر عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار المخاطر السياسية لفعل ذلك. حالات الطوارئ تعني الأحداث الجيوفيزيائية البسيطة، ولكنها تعني بالأحرى نتيجة التفاعلات شديدة التعقيد بين البيئة الطبيعية والمصالح السياسية والأعراف الاجتماعية. في سياق عدم اليقين العلمي الكبير - وبالتالي التفسيرات المتعددة المحتملة للنتائج والحجج العلمية - سيتم الإعلان عن حالات الطوارئ المناخية على أسس سياسية إلى حد كبير. ينبغي لهذا الترابط بين عدم اليقين العلمي والانتهازية السياسية الحذر من تنفيذ (إدارة الإشعاع الشمسي) كإجراء للطوارئ المناخية، وهو استنتاج نتوصل إليه على أساس الحجج العلمية السليمة والحكم الرشيد والمبادئ الأخلاقية «.

أكثر من ذلك، هذا الكتاب أو قل المنتدى يدعو إلى إجراءات صغيرة، وأكثر تأكيدا ومنخفضة المخاطر. يمكن لكل ساكن على الأرض تنفيذ هذه الإجراءات التي تبدو غير منطقية، أي أن جميع عشاق الشاطئ ونجم البحر يمكنهم الاستمتاع بإنقاذ بعض نجم البحر. دع الجهد الجماعي يتحدث عن نفسه.

مثال على ذلك، في الفصل الأول فإننا نحتاج إلى الغذاء، والغذاء مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمياه الغنية، ويتأثر كل من الغذاء والماء بشكل مباشر بتغير المناخ. هنا تكشف مابودية ونهامو ومباندیلي عن حصاد مياه الأمطار والحفاظ على مياه التربة كخيارات لتعزيز إنتاجية مياه المحاصيل.

وفي الفصل الثانى يتم طرح السؤال كيف نعرف ما إذا كان حل التخفيف من تغير المناخ ناجحًا في الحياة الواقعية؟ يوصي Gökgöz و Yalçin باتباع نهج اتخاذ القرار متعدد المعايير لتقييم أداء التخفيف من تغير المناخ، حيث يتم إجراء مثل هذا التقييم لدول الاتحاد الأوروبي. إزالة الغابات أمر سيء. وفي الفصل الثالث: ولسوء الحظ، غالبًا ما يتم دفن هذه الحقيقة الواضحة تحت اسم التقدم كما هو الحال في باكستان، حيث يدعو كل من الخيام ووسيم، إلى وقف التوسع الحضري الهائل على حساب إزالة الغابات. وفي الفصل الرابع بعنوان لا تنس الساحل الضعيف..!، ينورنا كل من Chou و Chua و Bonga بنظام إدارة ساحلي متكامل لتعزيز المرونة الساحلية، وتجميل المدن والبلديات الساحلية لتستمتع بها الأجيال القادمة. بشكل متكامل ويشمل هذا النظام الحفاظ على الموارد الطبيعية والحفاظ على جودة البيئة للحفاظ على النظام البيئي.

فى الفصل الخامس السؤال الهام:هل هناك طريقة جيدة لتخزين ثاني أكسيد الكربون تحت الأرض؟ وماذا عن تحويله إلى ميثان عبر تفاعل الهيدروجين وثاني أكسيد الكربون؟ هنا يكشف Amez و Sanchez-Martin و Ortega و Llamas عن هذه الفكرة البارعة. ما الذي يجعل هذه الفكرة عملية جاذبة هو اندماجها المباشر في تقنية «الطاقة إلى الغاز»، حيث يتم استغلال الكهرباء الزائدة أثناء انخفاض الطلب لإنتاج الهيدروجين أو الميثان في شبكات الغاز الطبيعي الحالية. ونظرًا لأننا نتحدث عن موضوع الوقود، فلا يمكننا الهروب من مواجهة حقيقة أن الاحتراق غير الصحيح سياسيًا للوقود سيستمر في دفعنا إلى المستقبل. فوفقًا لـ Sua و Balo فى الفصل السادس، يتحدثان عن أن الوقود الذي يعتمد على الزيت النباتي يمكن أن يخضر سلاسل التوريد التي يتم تشغيلها بشكل أساسي عن طريق احتراق الوقود. يقومون بتحليل العديد من الزيوت النباتية فيما يتعلق بالديزل والبنزين لصناعة الخدمات اللوجستية .

إن القراء سيكونون ممتنين للتحدي في محاولة توحيد ردود فعل الأسواق في ظل نظام متعدد الأهداف باستخدام المؤشرات الفنية. حيث تهدف الجوانب المتميزة والتكميلية الواردة في الفصول الاثني عشر إلى تنوير القارئ. علاوة على ذلك، فإن التحفيز لفهم أفضل لأسباب وآثار تغير المناخ يمهد الطريق لحلول أكثر فاعلية وصداقة للبيئة.

الكتاب: علم تغير المناخ، أسباب الاحترار العالمي وآثاره وحلوله

تأليف: ديفيد س. تينغ و جاكلين أ. ستاغنر

سنة النشر: 2021

* أستاذ بجامعة القاهرة، مصر

10% ديمقراطية أقل: لماذا يجب الثقة بالنخب أكثر قليلاً، وبالعامة أقل قليلاً؟

غاريت جونز

محمد السماك *

حتى الأمس القريب كانت «الديمقراطية» في المجتمعات الغربية تُعتبر قدساً من الأقداس، ومقياساً لمدى تقدّم شعوب العالم المختلفة أو تأخرها، وحتى للحكم على الدول إذا كانت تستحق المساعدات أو لا تستحقها. أما اليوم فقد تغير الوضع أو هو في بداية التغيير. هناك ثلاثة كتب تلتقي حول نظرية جديدة وجريئة واحدة، تقول: «إن ديمقراطية أقل (وليس أكثر) أفضل للاستقرار السياسي والاجتماعي».

أول هذه الكتب عنوانه: « ١٠ بالمائة ديمقراطية أقل: لماذا يجب الثقة بالنخب أكثر قليلاً وبالعامة أقل قليلاً ؟ »، وهو موضوع هذه المقالة.

أما الكتابان الآخران فهما؛ الأول: «كيف تنتهي الديمقراطية How Democracy Ends»، ومؤلفه دافيد رونسينمان David Runcinman. والثاني: «عصر الغضب Age Of Anger» ومؤلفه بانكاج ميسهرا Pankaj Mishra. ويعالجان الموضوع ذاته، ولكن من زوايا مختلفة.

لا بد في البداية من الإشارة إلى أن المؤلف هو أستاذ العلوم الاقتصادية في جامعة جورج ماسون في فرجينيا، وأن الناشر هو جامعة ستانفورد في كاليفورنيا وهي واحدة من أعرق الجامعات الأمريكية ومن أكثرها مصداقية.

تنطلق دراسة الدكتور جونز من أحداث اعتبرها في كتابه مؤشرات أساسية وتأسيسية:

- استخدام الرئيس (الأمريكي) أجهزة الدولة لتهديم سمعة منافسه في الانتخابات الرئاسية.
- اغتيال شخصيات وطنية معارضة في الفلبين.
- تجريد أقلية دينية من انتمائها الوطني في الهند.
- تهديد استقلالية القضاء في بولندا.
- نهب الخزينة العامة في جنوب أفريقيا. (ويعاني لبنان أيضاً من هذه المشكلة).

فالنظام الديمقراطي الذي وفّر ولفترات زمنية طويلة للدول الغنية مزيجاً من التفوق الأخلاقي والاستقرار السياسي، دخل الآن مرحلة الترنّح وإعادة النظر .. صحيح أنه لم يتهاوَ، ولكن يبدو أنه على قاب قوسين أو أدنى من الهاوية.

فالمؤشرات التي توقف أمامها المؤلف تشكل في نظره «أرضاً خصبة» وأسباباً موجبة لنقد الديمقراطية. وهو نقد ينطلق من سوء توظيفها، ومن سوء تفسيرها، وكذلك من سوء فهمها.

يتضمن تقرير أعدته جامعة كمبريدج -في المملكة المتحدة- حول مستقبل الديمقراطية، إشارة واضحة إلى «تراجع» حاد في العالم للديمقراطية وذلك منذ التسعينات من القرن الماضي. ويشمل هذا التراجع الولايات المتحدة الأميركية ودول جنوب أوروبا.

ويميز التقرير بين المبدأ والممارسة. ويقول إنه من حيث المبدأ لا أحد يرفض الديمقراطية أو يدينها. ولكن سوء الممارسة هو الذي يشوّه معنى الديمقراطية ورسالتها.

وفي ضوء هذا الواقع، يرى المؤلف أن دولة مثل الاتحاد الروسي تفرك يديها جذلاً وهي ترى الديمقراطية -والليبرالية- تتهاوى كنظام سياسي - اجتماعي في المعسكر المعادي -أو على الأقل في المعسكر المنافس. ويقول إن النظام -الديمقراطي- كان أصح وأشد فعالية في النصف الأول من القرن العشرين. غير أن الحرب العالمية الثانية وجهت إليه طعنة شديدة. ويفسر هذه الطعنة كتاب آخر عنوانه: «عصر الغضب Age of Anger»، وفيه يؤكد المؤلف باسكاج ميسهرا أن المشكلة تتمثل في توسع الهوة بين نظام سياسي يعد بالمساواة، ونظام اقتصادي يؤدي إلى اللامساواة.

أما المؤلف غاريت جونز فإنه يلقي في كتابه باللائمة على الناخبين الذين يختارون قياداتهم -أو الذين يختارون هذا النوع من القادة- فهو يقارب الفلسفة الديمقراطية من زاوية اقتصادية (علماً بأنه هو نفسه عالم اقتصادي وأستاذ لهذه المادة) ويعتبرها نظاماً للإنتاج؛ وأن إنتاجها يتمثل في إدارة الحكم، كما يتمثل في تحسين الإنتاج وتطويره معاً.

من هنا فإن نظريته التي تقوم على أساس «١٠ بالمائة دميقراطية أقل» تهدف بنظره إلى تحقيق نتائج مختلفة أفضل (وربما أسوأ) للدول وللشعوب.

يعترف المؤلف بأمرين أساسيين؛ الأمر الأول هو أن وقوع المجاعة أو انفجار المذابح الأهلية (الصراعات الداخلية) أمر نادر في المجتمعات الديمقراطية؛ أما الأمر الثاني فهو أن المجتمعات الأخرى (غير الديمقراطية) عندما تتحول إلى الديمقراطية، فإنها تنمو بوتيرة أسرع ويزداد دخلها الفردي على المدى البعيد بنسبة تصل إلى عشرين بالمائة.

ويرى المؤلف أن الديمقراطية ليست «كالعذرية»؛ ذلك أن الدول قد تكون قليلة الديمقراطية أو كثيرتها. ولا توجد في عصرنا دولة مثالية في ديمقراطيتها (حتى سويسرا) بالشكل الذي كانت عليه أثينا اليونانية القديمة. ففي أثينا تلك، جرى سحب الجيش الأثيني من جبهة القتال ضد إسبارطة بموجب استفتاء شعبي عام. وليس بموجب قرار اتخذته السلطة منفردة وأملته على

القيادة العسكرية !!..

فالديمقراطيات كلها، يؤكد المؤلف، تفرض قيوداً محددة على المشاركة الشعبية في عملية اتخاذ القرار. هذه القيود تتمّ إما عن طريق الممثلين المنتخبين، أو عن طريق مسؤولين مختارين.

هنا يصيغ المؤلف نظريته الجريئة التي يقول فيها : إن انتخابات أقل، ومسافات أوسع بين الناخبين وأصحاب القرار يؤديان إلى حكم أفضل. وتشكل هذه النظرية العمود الفقري للكتاب. وتدور الفصول المتعددة منه حولها، شرحاً وتبريراً .

من البديهي ملاحظة المسافة الفكرية بين واقع الديمقراطية كما تمارَس في العديد من الدول (وخاصة في الدول الغربية وأميركا)، وبين الصورة الجديدة التي يطرحها المؤلف. وتبريراً لهذه النظرية يقول إن كل الديمقراطيات تحدّ من المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات العامة، وإن هذا التحديد وهذه القيود أعطت نتائج عملية جيدة. حتى أنه يقترح (بموجب نظريته) الالتزام بالمزيد من هذه القيود الضابطة للانفلاش الديمقراطي.

ويشير المؤلف إلى أن ذلك لا يقتصر إيجاباً على النواحي السياسية فقط، بل إنه ينعكس إيجاباً أيضاً على الاقتصاد، وتالياً على التنمية؛ فالوقائع أثبتت «أن التجارة الحرة تزداد ازدهاراً كلما بعدت عن الديمقراطية».

وفي هذا الشأن أكد المؤلف على النظرية التالية ؛ وهي أنه في أجواء الانتخابات العامة وتحت تأثيرها، ينكفئ السياسيون عن اتخاذ أو عن تأييد أي قرار يتعلق بحرية التجارة؛ ويريد بذلك أن يشير إلى أن مصالحهم الانتخابية الاسترضائية للناخبين، تحتلّ خلال فترة الانتخابات سلّم الأولويات حتى ولو لم يكن ذلك الاسترضاء في مصلحة الاقتصاد الوطني على المدى البعيد .

وضرب المؤلف مثلاً آخر في الولايات المتحدة حيث أن كل المناصب في الدولة يتم ملؤها بالانتخاب . ولكنه لاحظ أن القضاة المنتخبين يصدرون أحكاماً أسوأ لأنهم يهتمون بتأمين قاعدة انتخابية

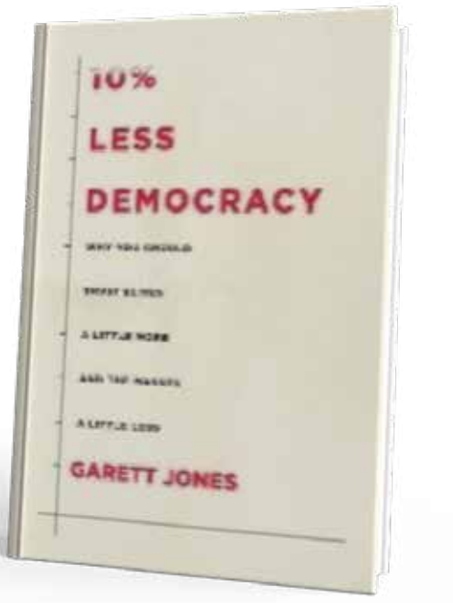

تمكّنهم من العودة إلى مواقعهم عن طريق إعادة انتخابهم؛ فالاسترضاء يكون على حساب العدالة . وكذلك الأمر بالنسبة لمسؤولي الضرائب الذين يؤثرون ضمان إعادة انتخابهم على تحصيل كامل حق الدولة. ويقول إن هذا الأمر هو الذي أدى مثلاً إلى إفلاس «مقاطعة أورانج» في كاليفورنيا -وهي من المناطق التي تعيش فيها مجموعة من الأثرياء ورجال الأعمال الكبار-.

ومن هنا يؤكد المؤلف على نظريته التي يقول فيها إن الحكم الرشيد والصالح يتطلب فرض مسافة أوسع بين الحاكم والناخب ؛ كما يتطلب انتخابات أقل. وخلافاً لهذه النظرية فإن سويسرا مثلاً تلجأ إلى الاستفتاء العام لدى مواجهتها أي قضية جديدة، اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية. ويكاد لا يمر عام إلا ويدعى السويسريون إلى الاستفتاء حول قضية طارئة. ذلك أن هذه الدولة المتعددة الأجناس والقوميات والأديان، تعتمد نظاماً فدرالياً، تتمتع بموجبه كل مقاطعة بنوع من الحكم الذاتي الواسع . ولذلك تلجأ سويسرا إلى الاستفتاء العام لاتخاذ موقف موحد من أي قضية مشتركة وتتعلق بكل المقاطعات .

من هنا السؤال: إذا كان صحيحاً أن قليلاً من الديمقراطية هو أفضل من كثيرها، فما هي الآلية لإدارة الدولة الحديثة ؟

يجيب المؤلف على هذا السؤال باقتراح نظام «ابيستوكراسي Epistocracy» أي حكم الأذكياء الخبراء وأصحاب المعارف والاختصاصات .

وفي أساس نظريته كما يوضحها في كتابه، فإن الديمقراطية هي «نظام اقتصادي». غير أن للديمقراطية بعداً أخلاقياً؛ وأن هذا البُعد يترجم القاعدة الدينية بأن الناس جميعاً متساوون أمام الله خالقهم جميعاً، وأن هذه المساواة تترجم على الأرض (أي ديمقراطياً) في صندوق الاقتراع !!.

وفي المجتمعات الغربية يستمد الحكم شرعيته من هذا الصندوق، إلا أن هذه التجربة كما قام بتشريحها مؤلف الكتاب، أثبتت بالوقائع أنها أبعد ما تكون عن المثالية. ويقدم مثلاً على ذلك الاتحاد الأوروبي . ويقول إن الاتحاد يتخذ قراراته بصورة ديمقراطية يشترك فيها ممثلو الدول الأعضاء جميعاً. مع ذلك انسحبت منه المملكة المتحدة، وهي أحد أكبر وأهم أعضائه لأنها وجدت نفسها في حالة انفصال عن «مؤسسة» الاتحاد .. صحيح أن القرارات كانت تتخذ بالتصويت، إلا أن هذه العملية الديمقراطية لم تكن تلتقي في نتائجها مع المصالح القومية البريطانية دائماً .. فكان الانسحاب .

لذلك يرى الكاتب أن شرعية الحكم تقاس في مدى قدرة الحاكم على النجاح في حفظ سلامة وأمن ومصالح المجتمع وفي مدى قدرته على تحقيق النمو والازدهار المنشودين؛ ذلك أن المهم في الحسابات الأخيرة هو أن تبحر السفينة، وليس المهم لون الشراع أو شكله.

الكتاب : % 10 ديمقراطية أقل: لماذا يجب الثقة بالنخب أكثر قليلاً، وبالعامة أقل قليلاً ؟

المؤلف : غاريت جونز Garett Jones

الناشر : جامعة ستانفورد للصحافة Stanford University Press

عدد الصفحات : 248

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي

فرز الاقتصاد المختلط: صعود وانهيار دول الرفاهية والتنمية في الأمريكيتين

إيمي سي أوفنر

عبدالرحمن الغافري *

هناك قصص غير مروية من ضمنها قصص كيفية إنتاج البرامج الترفيهية والتنمية في الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية وكيفية تدميرها. بعد الحرب العالمية الثانية انتشر طوفان من المستشارين الأمريكيين (أمريكا اللاتينية)، كل بحلمه يسعى في بناء اقتصاد جديد، ينتشل العالم الثالث من الفقر. ذهب الجميع - رجال الأعمال والمهندسون والاقتصاديون والعمال - إلى الجنوب حاملين الإنجيل للحديث كل بحديثه وصوته.

لكن هنالك في أمريكا اللاتينية سرعان ما انصدموا بحقائق واحتمالات غير متوقعة، ضمن الصفقة نفسها التي ذهبوا إليها من أجل الأحلام التي بنيت. في كولمبيا انتهى الأمر بمستشارين من أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة، إلى تطبيق الدولة اللامركزية، وخصخصة الوظائف العامة، وإطلاق برامج رعاية اجتماعية.

في الستينيات قاموا بإعادة بناء المشاريع بالبلاد، منها مشاريع الإسكان، والوديان، والأنهار والتعليم من خلال الجامعات. بالإضافة إلى أنهم خلقوا دروسا جديدة للولايات المتحدة نفسها. في يوم إطلاق إدارة جونسون الحرب على الفقر، وعدت عدة حركات اجتماعية أمريكية، وجمعية الأعمال، والوكالات الحكومية بإعادة الدروس الوطنية إلى الوطن، وفعلوا ذلك من خلال سياسة استخدام التقشف، والتعاقد الربحي من داخل دولة الرفاهية الخاصة بهم. بعد عقد، لم تكن هناك أي حركات يمينية صاعدة تسعى إلى خراب، أو تفكيك الدولة في منتصف القرن، بحاجة لأي فكرة جديدة، لقد تم إعادة نشر السياسة الموجودة ذاك الوقت تحديداً كما هي والبعد عن العنف.

هنا في هذا الكتاب، تصدت للأمر إيمي أوفنر وذهبت مع القراء إلى كولومبيا وإعادتهم؛ لتظهر التشابك المجتمعي الأمريكي، والوعود المتناقضة التي انتظروها آنذاك في منتصف القرن لبناء الدولة. هناك قصة جديدة غير مروية، مفادها هو كيفية تقديمها من صفقة جديدة، برمجت إلى المجتمع العظيم من خلال أمريكا اللاتينية، منها فرز «الاقتصاد المختلط» سردا جديدا مفاجئا لأصول النيوليبرالية.

في الجزء الأول من الكتاب، تتحدث الكاتبة عن كيفية بناء دولة لا مركزية شكلت واقعا متميزا دائما في شكل حكم الأمريكيتين في زمن الكساد الكبير. تمت إعادة هيكلتها، وشكلها ونشرها من بعد الكساد كجزئين أساسيين أولا: وصفة تنموية في توسيع مسؤولية الدول الضعيفة، ولاحقا كأداة لتفكيك وزحزحة وظائف الدولة الراسخة. خلال حقبة الثمانينيات من القرن الماضي، عمل الاقتصادي الكولومبي إدواردو ويزيز في منصب مدير نصف الكرة الغربية، لصندوق النقد الدولي، وهو الذي دفع من خلال برنامج التكيف الهيكلي في جميع أنحاء المنطقة. وبحلول التسعينيات، أصبح مستشارا للبنك الدولي، ولديه سلطة دولية تعنى باللامركزية في الدولة. وعملت آنذاك الشركات وأعادت قوتها في اللامركزية، مثل ترتيب الاقتصاد السياسي للمنطقة، والمصطلحات نفسها التي تمت مناقشتها في الاقتصاد السياسي.

بعدها تصف الكاتبة الشركات مثل " Cauca Valley Corporations (CVC)" التي أدت وعملت وظائف متميزة للدولة التنموية، مما أعطى الحكومة الوطنية نفوذا وسلطة غير مسبوقة لها. بسبب أن الشركات المستقلة كانت هي السلطة العامة، التي أدارت قانون الاصلاح الزراعي الكولومبي في عام ١٩٦١، لواحد من أغنى المناطق الزراعية اللاتينية، لم يكن هناك أي سياسة ترمز بقوة إلى الوعود بأي تنمية في منتصف القرن، ولم يعتمد أي منها بشكل أكثر منهجية على الوسطاء المحليين الذين دعمت مهاراتهم وعلاقاتهم كل المفاوضات الملكية.

لقد ترجمت المحكمة الجنائية المركزية خطابات القانون إلى حقائق على الأرض، وفسرتها وحددت مصيرها في وادي كاوكا لهدف الإصلاح الزراعي في كولومبيا الذي صيغ في أعقاب الثورة الكوبية، التي أظهرت بعدها للأمريكيين اللاتينين أن التنمية الرأسمالية يمكنها تحقيق إعادة توزيع الاقتصاد والعدالة المجتمعية.

ثم ناقشت الكاتبة المنازل الخاصة في أمريكا اللاتينية، وكان أكبر مشروع سكني تم بناؤه في أمريكا اللاتينية في إطار التحالف، من أجل التقدم، هو عبارة عن مشروع امتلاك المنازل الخاصة للأشخاص. نشأ سيوداد كينيدي، أو» مدينة كينيدي»، في ضواحي بوغوتا خلال أوائل الستينيات، وهو مجمع مترامي الأطراف من المنازل، والشقق الخاصة المصممة لإيواء ٨٤٠٠٠ شخص. وتم وعودهم بملكية الممتلكات الخاصة، أثار إعجاب جميع المشاركين في المشروع. بعدما يقرب من أربعة عقود، شرح أحد السكان الأصليين في Superblock ٧ كيفية أصول الحي الذي يعيش فيه من خلال البحث عن إعلان في إحدى الصحف من عام ١٩٦٢. أصبح سيوداد كينيدي نموذجا دوليا لـ «الإسكان بمساعدة الذات»، وهي سياسة مميزة للنزعة التنموية في منتصف القرن.

تم نشر البرنامج في الاقتصاد المختلط في جميع أنحاء العالم، حيث كلف الحكومات بعدة مهام، مثل تمليك الأراضي، وتمديد قروض الرهن العقاري، وتوريد المواد، والإشراف على البناء، وهنا بنى المستفيدون المساكن وأصبحوا مالكي العقارات.

في الفصل الثاني ركزت الكاتبة على جون هانتر، وهو مواطن إلينوي يبلغ من العمر ٣٩ عاما، ولقد تحدث كمدير أول لمركزالبحوث الاقتصادية في كولومبيا وخاطب قراء إحدى المجلات الرائدة في كولومبيا للأبحاث الاقتصادية،» Revista del Banco de la República". كما تحدث عن الاقتصاد في أمريكا اللاتينية. بعد عام ١٩٤٥، خصصت الجامعة الكولومبية برامج اقتصادية جديدة لم تكن أبدا موجودة. قبل ذلك كان هناك محامون ومهندسون ورجال أعمال وسياسيون ، لمعوا في صنع السياسة الاقتصادية الوطنية، وقاموا هم بدورات في تدريس الاقتصاد السياسي في كولومبيا. لكن أزمة الثلاثينيات أوجدت اعتبارا جديدا للخبرة الاقتصادية، كشكل متخصص من المعرفة، وشرع الكولومبيون في إنشاء نوع جديد من الاقتصاديين

لتوجيه الدولة. كان اختراع الاقتصاد كنظام مستقل، في عملية من القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة ومعظم أوروبـا، ظاهرة القرن العشرين في أمريكا اللاتينية، ولدت من رؤى جديدة للتنمية الوطنية، وتصدرها رجال مشهورون في مجال الأعمال والحكومة. بعدها تطرقت الكاتبة لشخصية رينالدو سكاربيتا، الذي جادل أن المدراء هم رجال جلبوا لمعالجة المشاكل البعيدة، وواسعة النطاق لمجتمعات ما بعد الحروب. عرفت المعرفة الإدارية للعالم أنها مخلوقة من الشركة الحديثة، تم تشكيلها وفقا لمتطلباتها، لكنها الآن أصبحت بمثابة تقنية عالمية، وتطبيقاتها لا حدود لها. حكومة سكاربيتا أعلنت هنا عن أشخاص كانوا «يديرون الشؤون العامة» من ضمنها التاريخ الطويل لرجال الأعمال، والاقتصاديين الذين قارنوا شركة الرأسمالية بالدولة والإدارة الحكومية. كانت ادعاءاتها شبيهة بتلك التي أطلقها الاقتصاديون في أمريكا اللاتينية لأنفسهم، وجعلوا المنافسة المهنية التي يواجهها االإقتصاديون من المديرين، الذين قاموا بالتدريس والدراسة في نفس البرامج الجامعية. أدت محاولة ما بعد الحرب لتشكيل مهنة اقتصادية جديدة، وهي جيل يزداد وعيا ذاتيا من رجال الأعمال، الذين رفضوا رواية الاقتصاديين عنهم، باعتبارهم أسيادا مهتمين بأنفسهم بشكل ضيق في أرضية المحل والمكاتب المنزوية.

هنا تسرد الكاتبة رجوع ديفيد ليلينثال للجمهور الأمريكي، حينما واجه رجال الأعمال وصاغوا لتنفيذ السياسة المحلية لأزمة شرعية خطيرة، وألقى ليلينثال نصيبه مع المديرين التنفيذيين للشركات، الذين يسعون بشدة للحصول على مكان في المجتمع العظيم. إن المديرين التنفيذين للشركات التي ربحت عقودا مبكرة بعد الحرب، وحصلت على أرباح من التنمية في الدولة، والجيش، والسياسة الهندية التي جلبت منظرا جديدا لمطالبات المتمردين بما تسمى بالعدالة المجتمعية، وإجرات الدولة وسيطرتها داخليا. كان ليلينثال ينتمي إلى مجموعة من بناة المؤسسات المجتعيه، والمعلمين، والإستراتيجيين السياسيين الذين نقلوا هذا الدرس من العالم المزعوم «المتخلف» إلى جمعيات الأعمال المحلية، والمجالس الاستشارية الحكومية، وبرامج العمل المجتمعي في الستينيات. فيما يتعلق بهؤلاء الرجال، تم حل الأسئلة الكبرى التي تطرح حول دور القطاع الخاص في الحياة العامة، بحلول الوقت الذي بدأت فيه الحرب على الفقر، وبدا أن المجتمع العظيم فرصة لتعزيز مكاسبهم عبر المجالات المحلية والدولية.

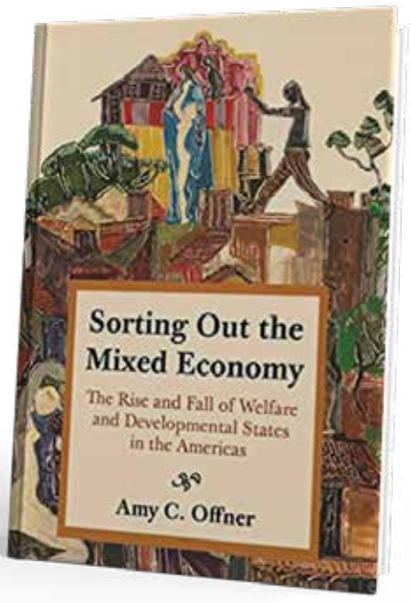

بعدها تحدثت الكاتبة عن دون تيرنر الذي تصور جهازا منزليا جديدا، وأوضح أنه عبر العالمين الأول والثالث، «يبدو أن مفهوم استقلالية الساكن يقدم أحد الآمال القليلة لتحسين الإسكان على نطاق واسع». وتتحدث أيضا عن حرب القضاء على الفقر، وموت تيريز وأن أكثر من ٢٦٠٠٠ ألف أسرة أمريكية بنت منازلها باستخدام قرض «FmHA » تحت قسم ٥٠٢. ظلت المساعدة الذاتية برنامجا صغيرا، لكنها نمت منذ الستينيات، حيث بلغت في عام ١٩٩٦، ١٥١٤ قرضا جديدا بلغ مجموعها أكثر من ١٠٠ مليون دولار. في عام ١٩٩٥، صنفت إدارة كلينتون شركات المساعدة الذاتية على أنها «شريك في الحلم الأمريكي» كجزء من إستراتيجيتها الوطنية للملكية المنازل. سياسة ولدت جنبا إلى جنب مع الإسكان العام في أيام التوسعه لدولة الرفاهية، والتي ازدهرت الآن تحت راية سياسة الطريق الثالث. يصف هذا الفصل إدواردو ويزنر كخبير اقتصادي في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. خلال تلك السنوات، اكتسب سمعة سيئة للتفاوض بشأن برامج التكيف الهيكلي عبر أمريكا اللاتينية، كما دافع عن أشكال جديدة من اللامركزية أدت إلى تفكيك الدول التنموية. لم يكن ويسنر دخيلا منشقا عن عملية بناء الدولة التنموية، كان نتاجا لها.

في الختام ركزت الكاتبة على عناصر الاقتصاد المختلط، التي فرزت وتم تسويتها من خلال النزاعات التي قامت في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، وأعيد تعريفها على أنها سمة من العصور التاريخ المختلفة. نتيجة لذلك، تنتشر بقايا الاقتصاد المختلط في جميع أنحاء العالم، ويُعاد تسميتها بشكل عام ويتم استقالتها من الناحية السياسية. أيضا تصف الكاتبة ظهور دول في منتصف القرن وكيف تراجعت، كما أنها تزيح النيوليبرالية بصفتها نقطة النهاية الوحيدة التي يمكن تصورها للاقتصاد السياسي في القرن العشرين. تعرض الكاتبة في هذا الفصل ملامح الاقتصادات المختلطة باعتبارها سوابق معادية. كانت دول الرفاهية والتنمية تشكل تناقضات بشكل عميق، وتوفر موارد استثنائية لأولئك الذين يحلمون بالديمقراطية الاجتماعية. لقد ولّدوا أشكالا متعددة من اللامركزية، والتفويض الخاص، وإلغاء الضوابط، والتقشف، وقد تم نسيانها جميعا تقريبا؛ لأن صانعي الدولة اللاحقين استحوذوا على تلك الممارسات، ووضعوها في غايات جديدة، وكتبوا لها سلاسل أنساب جديدة، ووصفوها بأنها ليبرالية جديدة.

بالختام يعد هذا الكتاب قراءة أساسية لمؤرخي التنمية والسياسة العامة في الأمريكتين في القرن العشرين. وسيهتم المؤرخون الزراعيون بشكل خاص بتحليل أوفنر لإصلاح الأراضي في كولومبيا، في أوائل الستينيات من القرن الماضي، والأسئلة التي يثيرها هذا حول طبيعة الإصلاح الزراعي في سياقات أخرى. ولا سيما أهدافها الاقتصادية والاجتماعية المتضاربة في كثير من الأحيان. ولماذا يجب أن يهتم المؤرخون الاقتصاديون؟ يقدم الكتاب الكثير من النظريات، ولكن يعطي القليل جدا من التاريخ. قد يكون هناك سببان: أولا، أولئك الذين يهتمون بالعلاقة بين الفقر والصدمات والأزمات، والذين لا تعيقهم النماذج الرياضية المعقدة، من المحتمل أن يجدوا هذا الكتاب الجدير بالقراءة لمجموعة واسعة من آليات الفقر التي يناقشها، والعديد من حالاته - لمحات عامة عن الأدبيات المتزايدة بسرعة حول البحوث والسياسات المتعلقة بمكافحة الفقر. ثانيا، وهذه نقطة أوسع، يوضح فيها الكتاب كيف يعتمد عالم الفقر على السياق في الواقع. بهذا المعنى، فإن الكثير من النظريات تقرأ مثل التاريخ.

عنوان الكتاب: فرز الاقتصاد المختلط: صعود وإنهيار دول الرفاهية والتنمية في الأمريكتين

المؤلف: البروفيسور إيمي سي أوفنر

سنة النشر: 2021 م

دار النشر: مطبعة جامعة برينستون

عدد الصفحات: 400 صفحة

اللغة: الإنجليزية

* كاتب عُماني

"ماهابهاراتا" بَرْمَجيّةٌ حُرّة

كيه. سي. نارايانان

فيلابولاتو عبد الكبير *

تُعد ملحمة «ماهابهاراتا» إحدى الملحمتين العظيمتين في الهند باللغة السانسكريتية. وثانيهما ملحمة «رامايانا». وكلاهما من الكتب المقدسة لدى الهندوس ولو لم يكن موضوعهما الأساسي مقصودا به الإرشاد الديني بالمعنى الدقيق للكلمة، كان "مهابهاراتا" من تأليف "فيدا فياسا"، أما «رامايانا فكان من تأليف «فالميكي».

تم تأليفهما في شكل قصائد رائعة تحتوي على حكايات أسطورية شيقة تُعجب ذوق الجميع على اختلاف مشاربهم وضروبهم الدينية والفكرية. بالرغم من أن الفارق الزمني بين هاتين الملحمتين قد يصل إلى قرون عديدة، يوجد بينهما تشابه كبير فيما تدور سرديتهما حول التسابق على السلطة والحرب بين الإخوة في قبيلة واحدة، البطل في «رامايانا» هو «راما» ابن «داشارادها» ملك كوسالا وعاصمتها «ايودهيا». كان لـ «داشارادها» ثلاث زوجات، «كوسالياً» «وكايكيي» و«سوميترا»، لما أعلن الملك رغبته في تنصيب راما ابنه من زوجته «كوساليا». تداخلت في هذا القرار زوجته الثانية «كاي كيي» حيث طالبت الملك بتحقيق رغبتيها المؤجلتين، كان قد وعدها الملك عند زواجها أن لها أن تطلب منه ما تريد من شيئين وأنه سيقوم بتحقيقهما حالا. فطلبت منه أوّلا إبعاد راما إلى الغابة لمدة أربعة عشرعاماً كما طلبت منه ثانياً تنصيب ابنه «باهراتا» على العرش بدلا من راما. تجنبا من نكوث والده بالعهد اختار راما العيش مع زوجته «سيتا» وأخيه «لاكشمنا» في غابة. خلال حياتهم في الغابة اختطف «رافانا» ملك «لانكا» سيتا». فدارت بين راما ورافنا حرب واستعاد راما زوجته بمساعدة جيوش من القرود بقيادة ملكهم «سوغريفا». وفي حينه اكتملت المدة المحددة فعاد راما مع أسرته إلى أيودهيا». ينصاع راما لتشكيك شعبه بطهارة «سيتا» خلال حياتها في قصر «رافانا». فينبذها إلى الغابة. يُعتبر راما في ميثولوجيا الهندوسي ملكا عادلا ونموذجا في الشؤون الأخلاقية. ولكنه قد تعرض لانتقادات لاذعة في العصر الحاضر بسبب تعامله مع زوجته مما جعله رمزا للشوفيني الذكوري. وقد نشأت في العصور المتأخرة قراءات متنوعة لـ «رامايانا».

مثل رامايانا نجد موضوع «ماهابهاراتا» أيضا يدور حول التنازع في حق الجلوس على العرش والحرب بين الإخوة في قبيلة واحدة. هي عبارة عن منافسات ونزاعات ومعارك شديدة اندلعت بين «الكورفاس» و«الباندفاس»، فرعان من أسرة واحدة. ينحدر «الكورفاس» من أبيهم المعروف باسم «دهريتاراشترا». كان «دهريتاراشترا» ضريرا فلم يحالفه الحظ في خلافة المُلك، فاعتلى العرش بدلا منه أخوه «باندهو» الذي انحدر منه «الباندفاس». نزل «باندهو» من العرش بعد فترة بعد أن طلق الدنيا وأصبح روحانيا فأخذ «دهريتاراشترا» زمام الملك. ومن ثم نشأت منافسات السلطة بين «الكورفاس» من أبناء «دهريتاراشترا»، وعددهم مائة، وأبناء عمهم «باندهو»، وعددهم خمسمائة. احتدمت مصالح الفريقين حتى بلغت إلى الأمور التي تتعلق بمن يرث العرش الملكي. وأخيرا احتدم الفريقان في ميدان «كوروكشيترا» واختتم بغلبة «الباندهفاس» على «الكورفاس».

يعود تاريخ تأليف «مهابهاراتا» على الأرجح إلى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا. ينسب تأليفه إلى «فياسا» إلا أنه يعتقد أن «فياسا» ليس شخصا واحدا بل مجموعة أشخاص أضافوا إليها حكايات ومقطوعات على مر العصور. يقول بعض الباحثين إن «مهابهاراتا» يساوي ضعفين من «الإلياذة» والأوديسية» الأسطورتين الإغريقيتين. يعتبر تشارلز إليت «مهابهاراتا» ملحمة أعظم من ملحمة «الإلياذة». وقد نقلها حرفيا في نظم إلى اللغة المالايالامية الشاعر الارتجالي الشهير «كونجي كوتان تامبوران» (١٨٦٨ - ١٩١٣) عام ١٩٠٦. أخذ لتكميل هذا العمل ٨٧٤ يوما بينما أخذ «فياسان» لتكميل عمله ١٠٩٥ يوما. واشتهر «كنوجي كوتان» بعد ذلك باسم «فياسا كيرالا». وفي عام ١٩٦٨ قام كيه. «براكاشام» بإعداد نسخة لها في النثر، أخذت منه ثلاث سنوات. صدرت ترجمته في ٤٠ مجلدا، كل مجلد يحتوي على ٤٠٠ صفحة. تم تدشين المجلد الأخير في نيو دلهي عام ١٩٧٣. وممن ترجمها للأطفال الصحفية من الرعيل الأول «باروكوتي أمّا»، وقد قرأها هذا الكاتب حين كان طالبا في الابتدائية.

إن «ماها بهاراتا» بحر زاخر من لآلي الحكايات قلّما نجد له مثيلا في غيرها من الأساطير العالمية. ولذلك قيل عنها: «تجدون فيه ما لا يوجد في غيره ولا تجدون فيه ما يوجد في غيره». وقد استلهم منها كثير من الكتاب الهنود روائعهم، ومنهم الروائي في. أس. كهاندهيكار» صاحب رواية «ياياتي» التي يُناقش فيها ظاهرةَ الموت الغامضة وأسرار الحياة بأسلوب جذّاب يغلب فيه لون فلسفي. ومنهم «كيه. أم. مونشي» الذي ألف عددا من القصص مبنيةً على شخصيات في «ماهابهارتا». وثمة روايات أخرى في لغة مالايالام مثل « دعوني أنام الآن» لـ «بي. كيه. بالا كريشنان»، والدور الثاني» لـ أم. تي. فاسوديفان نايار، و«هيرانياكا شيبو « لـ أن. بي. محمد. وكذلك لهذه الأسطورة عدة قراءات مختلفة وتفسيرات متنوعة. هذه هي إحدى مزايا هذه الملحمة.

يرى فيها بعض المؤرخين تصويرا للحروب بين «الدرافيديين» و«الآريين» في الألف الثاني قبل الميلاد. أعاد قراءتها الناقد الأديب في اللغة المالايالامية «كوتي كريشنا مارار» وهو ينزع منها ثوب القدسية. حاولت المؤرخة اليسارية المشهورة «روميلا تهابر» بالقيام ببحوث علمية عميقة. أما «فيندي دونيجار» عالمة الهنديات الشهيرة (Indologist) في جامعة شيكاجو في الولايات المتحدة فقد استنبطت من بين سطورها معلومات جديدة. ترى في «دهرما بوترا» في نهاية الحرب رغم فوزه المعركة نفس صورة الإمبراطور «أشوكا» الحزين حين وضعت حرب «كالينكا» أوزارها. وللكاتب المالايالامي الآخر «سونيل بي إيلاييدام» قراءة ماركسية لهذه الملحمة. وفي نهاية هذه السلسلة تأتي قراءة الصحفي المرموق كيه. سي. نارايانان تحت عنوان «ماها بهاراتا برمجية حرّة». حين كان يشتغل في مكتب صحافته في محافظة «كانور» كان يرتاد بعد دوامه الليلي إحدى المكتبات العامة في النهار. هناك وجد مرة ترجمة «ماهابهاراتا» لـ «كونجي كوتان تامبوران» المذكورة أعلاه. لما بدأ يقرأ إحدى مجلداتها أعجبته حكاياتها جدا. بعد فترة حصل على المجلدات المتبقية من أحد زملائه في العمل في «كوشين» حين التحق بمؤسسة صحافية أخرى.

يقول المؤلف إنه عاش مع تلك المجلدات الستة يتنفسها أشهرا وسنوات. بعد دوامه الرسمي يقضي كل ليلة ساعتين في قرائتها حتى كمّلها بعد سنين عديدة. وفي عام ٢٠١١ لما زار ابنتَه المقيمة في الولايات المتحدة وجد كتاب :Hindus An Alternative Story لـ «فيندينكار» المذكورة أعلاه. لما قرأها عاد مرة أخرى إلى «ماهابهاراتا» ليقرأها من البداية إلى النهاية على ضوء بحث الكاتبة الأمريكية «فيندينكار». وللتحقيق عند الالتباس اشترى ترجمتها الإنجليزية في عشرة مجلدات لـ «بينيك ديبروي» الصادرة عن دار «بينغيين». وللتأكد من خلفياتها التاريخية اقتنى أيضا كتابين لكل من «روميلا تهابار» و«دي سي كوسامبي». فواضح أن المؤلف لم يدخر جهدا في الدقة والأمانة في هذه الدراسة.

إذً لماذا سمُيت برمجيَة حرة (Free Software)؟ يجيب الكاتب على هذا السؤال لأن «ماها بهاراتا» من المنتجات التي ليس لأحد في العالم حق ليملكها كما أن بإمكان الجميع إعادة قراءتها وتصويرها من جديد. يمكنكم نقلها إلى أي لغة تريدونها كما يمكنكم تلخيصها كيفما تشاؤون. وبإمكانكم تقديمها في شكل مسرحي أو في صورة. وهذه الملحمة العجيبة تنتشرعلى ستة آلاف صفحة في أكثر من مائة ألف مقطع. ظلت تتشكل على أشكال شتى خلال القرون الماضية كما ورد ذكرها سابقا. إذًا بأي تسمية أخرى نسميها إلاّ بوصفها حرة؟ يسأل الكاتب. يراها الكاتب برمجية جاهزة حرة، ومن خلال هذا المنظور يقرأ هذه الملحمة العظيمة قراءة جديدة باكتشافات ملحوظة.

يُقسِّمها ثلاثة أقسام، القسم الأول تحت عنوان «أشوكا»، والثاني تحت عنوان «كريشنا» والثالث تحت عنوان « ماهابهاراتا لا نهاية لها». توجد في القسم الأول الذي يبدأ بعنوان «الروحانيون الزهاد» وينتهي بعنوان النمس و«أشوكا» مناقشات حول خمسة وعشرين موضوعا. والقسم الثاني المُعَنون بـ«كريشنا» يحتوي على اثنين وعشرين فصلا تدور حول مصير الحرب، والدورِ الذي لعب فيها «كريشنا» الذي يعتقد الهندوس أنه قديس قد حلّ فيه الإله، ووردت أيضا في هذا القسم خلفية الكتاب المقدس الهندوسي «بهاجافال جيتا» المنبثق من «ماهابهاراتا» ذاته. والقسم الثالث تحت عنوان «ماهابهاراتا حكايات لا تنتهي» نقرأ فيه نتائج قراءته عن هذه الملحمة، وذكر نسخها المختلفة المحلية واللغوية مفصّلا. وفي الختام يحاول الكاتب أن يُؤكّد على أن ملحمة ماهابهاراتا في الحقيقة عمل جماهيري ساهم فيه كثير من الكُتّاب على مر الأزمنة وأنها مثل «فيكي بيديا» تماما في عصرنا الحاضر. والتحليلات التي يقوم بها المؤلف خلال دراسة هذه الملحمة

من منظوره الخاص تفتح آفاقا جديدة أمام القراء، يرى أن مؤلفها «فياسان» قد حاول أن يُشير من بين سطور نصه الأصلي إلى تناقضات في حياة الإنسان حتى في حياة من يعتقد الناس أنهم قدِّيسون. يفكك الكاتب ما ورد في النص الأصلي ويلتقط الضمني في سطورها باستخدام مشرطه البحثي. لا تكفي مساحة الكلمات لسرد جميع التحليلات في دراسته، بل نكتفي قدر ما يسمح به المجال هنا بما ورد في فصل «بهاجافال جيتا» فقط مثلا لا حصرا.

يُعدّ «بهاجفال جيتا» جزءا من «ماهابهاراتا» بثمانية عشر فصلا. وهو عبارة عن مواعظ يلقيها «كريشنا» على «ارجونا» أحد مهرة الرماة من إخوة «باندهافا». تُقلق نفس «أرجونا» شكوك وهواجس عن محاربة بني عمومته «الكورفاس». ففي قلب ميدان المعركة تغلب على فكرة «أرجونا» عبثية المغانم والأفراح التي يحصل عليها في نهاية حرب طاحنة مع أقرب الأقرباء؛ فيحاول كريشنا لإقناعه أن عمله عمل عادل لا بأس فيه بل هو واجب من واجبات طبقة «كشاتريا» التي ينتمي إليها، وأن الانسحاب من ميدان المعركة عمل غير لائق لمن ينتمي «للآريين». يتحدث كريشنا في هذا الشأن متفلسفا حيث يقول إننا إذْ نقتل أحدا لا نقتل أحدا في الحقيقة؛ لأن الإنسان حين يموت أو يُقتل لا ينعدم من وجوده إلا جسده أما روحه فتبقى أبد الأبد، إنما تُبدِّل الروح من خلال الموت ملابسها المهترية فقط.

يرى الكاتب في محتويات «بهاجافالجيتا» تأثير الصراع الفكر البوذي والفكر«البراهمني»، ولذلك نشأ النزاع عن تشخيص طبيعة هذا الكتاب. هل هو عنفيّ الطبيعة أم سلميّ الطبيعة. ومن الظريف أن «بهاجافال جيتا» كان مصدر استلهام لدى غاندي السلميّ مثلما كان مصدر وقود كراهية لدى «جودسيه» المتطرف العنفيّ الذي قام باغتيال غاندي. كلاهما كانا يعتبرانه كتابا مقدسا. لكن غاندي كتب له تفسيرا تحت عنوان «أناساكتي يوجا» وهو يُؤوِّل الصراع فيه صراعا بين الخير والشر. أمّا «كوروكشيترا»، ميدان المعركة، المذكور في «ماهابهاراتا» في نظر غاندي فليس إلا نفس الإنسان التي يجري فيها ذاك الصراع بين الخير والشر. ومن الكُتّاب من فسر محتويات «بهاجافال جيتا» تفسيرا ماركسيا مثل الكاتب المُنظّر الماركسي السابق في كيرالا كيه. فينو في كتابه الموسوم بـ «بهاجافال جيتا» والماركسية». ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان من الكتب المفضلة لدى الفيزيائي الأمريكي روبرت أوبنهايمر، أبو القنبلة الذرية والمدير العلمي لمشروع مانهاتن لتصنيع السلاح النووي في الحرب العالمية. عندما جرى اختبار الانفجار في نيو مكسيكو اقتبس أوبانهايمر من «بهاجافال جيتا» قائلا «إذا أضاء شعاع ألف شمس في السماء فسيكون ذلك مثل تألق الله تعالى..... أصبحتُ الآن الموتَ مدمِّرَ العالم».

ويشير الكاتب «نارايانا» إلى أن جوهر هذه الملحمة هو الحزن وحرمان القيم اللذين كثيرا ما يغلبان على حياة الإنسان. ويمكننا أن نرى«فياسا» يحاول من خلال سردياته أن يُثبِّت أن الحرب لا يخرج منها أحد منتصرا في النهاية. وفي إحدى مشاهدها الأخيرة نرى «فياسا» يسأل رافعا يديه «لماذا لا يتبع شره الإنسان للمال وشهوته الجنسية القيمَ والأخلاقَ؟» وإن كانت ملحمة «ماهابهاراتا» تاريخَ حرب جرت في الهند غابرَ الزمان فهي تحتوي أيضا رسالة ضد الحرب. الحرب إنّما تهدم صروح العقل والمنطق والقيم. تاريخ الحرب تاريخ إفلاس العقل والمنطق، يهلك الزرع والضرع، لا يستجيب لها إلا من لا يرى أبعد من أنفه، يكسر ظهره بسيفه ويحفر قبره بظلفه. ومع هذا أرى أن أنقل هنا قول المخرج السينمائي الفرنسي جان لوك جودار (Godard): « إن الأحزان والكوارث تولد منها الروائع العظيمة، ولكن عليكم أن لا تطلبوا الأحزان والكوارث لكي تولد منها الروائع العظيمة.» فـ «ماهابهاراتا» ملحمة عظيمة ولدتها كوارث حرب طاحنة، ولكنها تحمل رسالة ضد الحروب.

الكتاب: ماهابهاراتا: برمجية حرّة

المؤلف: كيه. سي. نارايانان

اللغة: ملايالام

عدد الصفحات: 558 ، سنة النشر: 2021

الناشر: DC Books, Kottayam

* مستعرب هندي

الغُلاف، لنقد الحاضر

مارشيللو فينيتسياني

فاتنة نوفل *

حقق كتاب «الغلاف» النجاحَ العام، ووصل إلى مراكز متقدمة في قائمة أفضل الكتب وتم تصنيفه ككتاب معاكس للتيار. يقدم لنا فيه المؤلف مارشيللو فينيتسياني، الفرصة لفهم آثار الوباء والعزل الناتج عنه على سلوكنا، وتداعياته النفسية والاجتماعية داخل العائلة والكائنات الحية الجماعية؛ ما يمكن اعتباره نزهة منطقية بين حماقات اليوم والمحرمات الحالية وتمرينا صارما في النقد في محاولة لعيش الحاضر وليس معاناته.

يُعبّر الكاتب عن إدراكه المتنبّه لتناقضات الحاضر وإصراره على الوجود المُتَصَور لهذا الغلاف «الذي يغلف كل شيء ويحجب الرؤية والنَفَس»؛ ليعطينا صورة ثابتة عن الحالة الوجودية المحفوفة بالمخاطر للإنسانية المُسْتبعَدة من رؤية شاملة للمستقبل، ومن دعم للأجيال، ومتابعة للظواهر الديموغرافية ومخاطر الاضطرابات المفاجئة للحياة على هذا الكوكب، والاغتراب الوجودي، وانتشار الكليشيهات وديماغوجية الآراء والأخبار المزيفة والدردشات والصور الذاتية المشتركة. وكهدف أخير هناك محاولة لتحريرنا من هذا الغلاف أراد من خلالها أن يخلصنا من حالتنا الوجودية ومن كل الحيَل التي تُفْرَض علينا بحجة هذا الظرف الذي نشعر بوجوده، ويدعو إلى التنصل من ذلك النوع من العنف الرمزي الذي وَجَّه حياتنا نحوه، وهومجهول لا يمكن السيطرة عليه بقوتنا وحدها. يمثل هذا الكتاب أيضاً نقدًا لامعًا ومتألقًا للحاضر؛ إذ يكاد يتحول إلى كتاب في علم الاجتماع والفلسفة لكيفية إدارة السلطة بكل مفاصلها وعُقَدها في هذه الأزمة التاريخية دون أن تكون يد الإنسان هي المذنبة فيه.

يبدأ الكاتب من إدراكه لحالة القلق الوجودي التي تسود الحاضر، حيث يبدو أن حياتنا بأكملها قد حُسمت إلى درجة فقدان تاريخ وذاكرة الماضي وكأنها اختنقت من الانتشار اللامحدود للبنى الفوقية التي احتوتنا وأرشدتنا ومنعتنا. تنظر إلى الأعلى ولا ترى شيئًا ولا ترى بوضوح الأشياء التي يجب أن تراها؛ بدءًا من السماء والشمس والقمر والنجوم وكأنك فقدت المسافة والبصيرة؛ فتشعر كأنك تعيش تحت غطاء، مغمورًا في بطانيته الثقيلة التي لا تُرى ولكنها لا تسمح لك بالرؤية؛ لتفقد الإحساس بالحاضر والقدرة على تكوين رؤية عامة عن الواقع. يبدو الأمر كما لو أننا تحت هذا الغلاف ونشعر بثقَله حتى لو لم يكن له ميزات ولا حدود، فهو لا يُوصَف؛ يُخفي الجمال والعظمة والرمز والأسطورة والقُدْسية والعالم الحقيقي؛ ما نتج عنه إضعاف واضح لممتلكات الأسرة وتغيير جذري في أنماط الحياة والعادات المتعلقة بالوباء والتي تُوحي بواقع مستقبلي مختلف تمامًا عن الماضي، كما هو موصوف في روايات بائسة مثل ١٩٨٤ لأورويل أو عالم هكسلي الجديد، ولكن مع نتائج غير متوقعة للسيطرة تتجاوز «الاستبداد الصيدلاني» واللقاحات الإلزامية و«التضحية بالإنسانية من أجل خير الإنسانية». سوف يُدرج هذا الوباء في التاريخ على أنه «الوقت الذي تقدمنا فيه في السن فجأة» وعبرنا حياة اجتماعية وثقافية وفنية صاخبة «movida» إلى «no-vida»: أي حياة بدون علاقات مع عواطف محطمة، وسجناءَ فترة نقاهة دائمة، وعرضةً للاكتئاب، ومتفرجين بدلاً من المشاركة، لقد أنقذوا الصحة لكنهم أسقطوا «المواطنة» ما أدى إلى اختفاء الواقع والتقاليد والطبيعة وفَقْد كل شيء من الشكل العام والاتساق والذاكرة والرؤية، الجنسان يتقاطعان ويتغيران والاختلافات تتلاشى وتصبح موحدة وتلغي الطبيعة والواقع.

يتابع الكاتب: هذا الغلاف يضطهدنا وكثافته تمنعنا من رؤية ما وراءه وقراءته من الداخل، فهو يقضي على أفكارنا وتَسَبّب في تدمير حريتنا؛ لأن الخوف من الموت والإصابة بالعدوى سيطر علينا جميعًا خلال الفترة الحادة لأزمة الوباء وانغمسنا في أحضان السلطة الصحية وطلبنا الحماية؛ كل ذلك أدى إلى دكتاتورية صحية وولادة لبروتوكولات يجب اتباعها أدت بنا جميعًا إلى حرمان أنفسنا من أي حس نقدي، وعَهِدنا بأنفسنا إلى النظام وجعلناه يتتبعنا ويحفظ ملفاتنا، لنفقد جميع أشكال الخصوصية لصالح رقابة محاكم التفتيش الجديدة التي تتبع نظام المراقبة العالمي وتتحكم في الحياة من خلال الطوارئ والأولوية المُطْلَقة للصحة وتسيطر على المعيشة بأي ثمن؛ وهو ما يتطلب منا بالتالي أن نكون أذكياء وعلى قيد الحياة ونتنفس بالكامل؛ لأننا لا نشعر بوزنه ولا يمكننا قياسه أو مقارنته، فهو مغلف ولا يُوصف. أنتَ داخله، لذا لا يمكنك تقييم عرضه وسُمْكه واتساقه. هو ليس شخصًا طبيعيًا ولا لجنة أو حزبًا سياسيًا أو مأوى ماسونيًا أو قوة غامضة من أصل غير قانوني ولكن، نظرًا لأن التقنية تغلبت على التفكير النقدي، فقد سيطرت عليه بشكل لا يمكن إصلاحه، فإن الغلاف يهيمن بإملاءاته وقواعده ويصبح كالفيروس، خوارزمية يجب اتباعها مثلما يتبع القطيع الراعي.

فرضوا علينا أدنى مظهر يمكن تَخَيُله في المستقبل؛ لنصبح ضحايا حاضر خانق يملؤنا بالقواعد ويحرمنا من الحرية الأساسية في التفكير النقدي؛ نحن نعيش في نوع من النسيان غير الممكن واللا محدد، يختلط فيه التداخل الحقيقي والافتراضي حتى يصبحا مشوشين، فقدنا فيه الرابطة المطمئنة بهويتنا التي تصبح متغيرة وعابرة، ويمكن تغييرها بفعل بسيط من الإرادة؛

ليلامس الكاتب أقوى نقطة في شدة انتقاده للغلاف وهو: إزالة الماضي والتاريخ والذاكرة والثقافة ما يؤدي إلى التقارب نحو فكْر واحد ومكرر، وهو تداعيات العولمة التي تطرد الموارد العبقرية وتستبدل التقاليد بالابتكار الذي يتدلى في الفراغ بدون جذور؛ مما يُفضي إلى السطحية التي تؤدي إلى شكل من أشكال البربرية الكوكبية، والانغلاق اليوم ضد كل الأمس والغد وإلى الأبد. حيث تقود المعركة ضد الكلاسيكيات، ضد الثقافة الإنسانية والجذورالأدبية والفنية والفلسفية والدينية التي تقوم عليها الحضارة، بالضبط حيث تقودنا الرأسمالية العالمية الجديدة التي سيتم من خلالها التخلص من كل ما هو موروث للإنسان من حضارة وإنسانية وعلم الأحياء والطبيعة والتقاليد. يجب تشويه الإنسانية ويجب استبدال الطبيعة؛ إنها ليست مسألة انتقام ضد التقدم أو السرد البائس، ولكنها عملية انتقاد للتحول الوجودي للإنسان، وقد

تنبأ بها بالفعل الفيلسوف الألماني مارتن هايدر في القرن العشرين من هيمنة التفكير المحسوب على الفكر النقدي والحر، والتخلي عن استمرارية التاريخ مع ظهور التكنوقراطية الشاملة بكل تغطرس. إذا نظرنا عن كثب إلى المسار الذي بدأ جزئيًا بالفعل، والذي يمكن أن يصبح واسع الانتشار ومُبَسَّطا ومُخْتَصرا من فقدان التفكير المتباين كسلاح للحرية والتحرر من العديد من الأغلفة التي تغطي حياتنا، ليتم استبدال الإبداع بمسارات وخوارزميات محددة مسبقًا مثل التزمت الجديد الذي يدفع نحو الإنسانية اللاجنسية، وكذلك تزايد نمو النرجسية المرضية في تأكيد على الذات الوحيدة في عالم يزداد فيه الشعور بالوحدة. فالمجتمع النرجسي هو تأكيد على الذات المنعزلة؛ هو عالم يزداد فيه الشعور بالوحدة لأولئك الذين يحبون أنفسهم فوق كل شيء ويعيشون من خلال رؤيتهم الخاصة ويُقَيّمون الآخرين من خلال المظهر أكثر من أصالة الكينونة؛ ما ينتج عنه محادثات وعلاقات يتم فيها الخلط بين الصواب والخطأ مثل وجهات النظر. هو عالم أحادي المرآة، يحبذ الأحاديات المنعزلة ويختبرها باعتبارها تباعدًا وجوديًا مطلوبًا لتصبح العلاقات قصيرة وحماسية ومريبة ومشبوهة، وتصبح الهوية بعيدة المنال وغير مفهومة.

حتى الماضي والأماكن تختفي، بما في ذلك أماكن العمل في مجتمع غير محدد بأرض، لتستمر العبودية بملاحقتنا إلى المنزل والعمل منه، ولتدرك بعدها أنك تخسر العالم وتضغط على نفسك في صورة شخصية دائمة؛ لأن هذا الغلاف يفضل الرأس النرجسية الانفرادية والجماعية.

لا يمكن ثَقْبُ هذا الغلاف، فنحن أمام طريق مسدود لا يوجد له بديل إلا التفكير النقدي لاستعادة حريتنا وليس لدينا أي سلاح آخر ولا قوة أخرى غير قدرتنا على فهمه. الذكاء هو السيف الذي ينقذ، أو على الأقل يخترق ذلك الغلاف. يتابع فينيتسياني قائلاً: لا يوجد مُذْنب أو زُمرة من المذنبين لننسب إليه كل شيء، ولا يوجد تصميم أو مركز يقرر المصير بواسطة التخطيط الشائن لمؤامرة كبرى شريرة لحكم العالم.

يمكن الإشارة إلى المسؤوليات المحددة والتواطؤ على نطاق أوسع، وليس هناك نقص في العوامل والوكلاء؛ لكن لا يوجد عدو وشر مطلق كالذي كان يُطلق عليه ذات مرة الشيطان؛ فالترتيب الحالي لا ينبع من

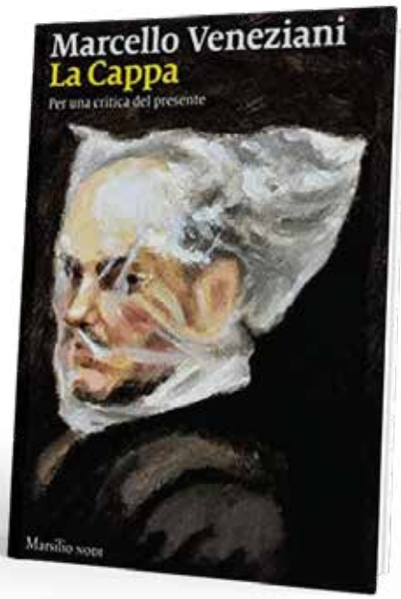

طاغية، إنه لا يُوصَف؛ وبالتالي لا يمكن إخضاعه لأنه منتشر مثل الخوارزمية كالفيروس؛ فالغلاف هنا يشبه الحجاب الحاجز، بطانة تمنعك من الرؤية والسمع واللمس والشم والتذوق.

يُعرّف فينيتسياني النسخة الأيديولوجية من الغلاف والتي تُحَدد كيف يجب أن يتصرف كل شخص: بأنه «مَشهد تقويم مطْبق على العقل والتاريخ والحياة» ونشر الحقيقة يصبح كأطراف اصطناعية وسلع استهلاكية؛ لأن «الفكر الوحيد هو الامتداد العقلي لمراكز التسوق».

العالم الذي يمكن اعتباره مثاليا وأفضل للجميع لا يتعلق فقط بموضوعات الاحتباس الحراري أو المناخ أو مصادر الطاقة أو إعادة التَحول البيئي، وهنا يغتنم الكاتب الفرصة للحديث بشكل حاد عن الطفرات الأكثر تعقيدًا، والتي تتعلق بالأخلاق والمعنويات والحق والحقيقة والجمال والممكن: مثل التفكير في العالم الافتراضي الذي يُقَوض العالم الحقيقي والتقاليد المُتَأصلة والذاكرة المحذوفة تحت مسمى «قدوم» مهيمن للتكنولوجيا (على سبيل المثال من خلال الرقمنة المنتشرة)، والاستبدال الصامت للقيَم، والمرور من داخل العقل البشري إلى الذكاء الاصطناعي والبرمجيات كأطراف تكميلية في عمليات «اتخاذ القرار» أو «حل المشكلة». «المشروع العالمي هو الهروب من الطبيعة البشرية واستبدال الحقيقي بالافتراضي والإنسان إلى ما وراء الإنسان»، والقضاء على أي معرفة لا تهدف إلى غرض عملي ونفعي، وإخضاع الجميل للمفيد. وإرساء أسبقية الظروف الاقتصادية على الظروف الثقافية؛ للوصول إلى المستهلك العالمي المُجَرَّد من الجذور والانتماء؛ ليجد نفسه في صراع هائل بين الكميات وعلاقات القوة. والغلاف هنا هو الوصف الأيديولوجي السياسي الصحيح الذي يصف كيف يجب أن يتصرف الجميع.

عندما تتصفح الكتاب ستلاحظ حكمة كتابته؛ فهو يتحدث عن أشياء كثيرة، على سبيل المثال عن الاختلاف بين الطبيعة والبيئة، وكذلك أزمة المسيحية التي تمر بها حيث يقول: «إن كل شيء بات ينحصر في الإسعافات الأولية للمهاجرين الفقراء، ومحبة الآخر، خاصة إذا كان قادماً من بعيد؛ يُطلب من خلالها من عالم صغير أن يحمل عالماً كبيرا على أكتافه، مع العِلْم أنه سينهار تحت ثقله الذي لا يُطاق دون طرح المزيد من المشاكل، مثل النمو السكاني الهائل أو الآثار العملية للغزو المهول للسكان الذين يرون الغرب كنقطة إنعاش ولكن ليس كحضارة للتحول والاندماج فيها؛ فالمسيحية كمنظمة غير حكومية لا يمكن أن تَقْتَصر على الأعمال الخيرية للمسيحيين والمواطنين وعلى الصَدَقة التي يجب أن تُوَجه للمرضى والمُعْدَمين وأن تنحصر في الضيافة و المساعدة الاجتماعية والإنسانية ورعاية النقابات؛ لتصبح روحانية بديلة مصطنعة ألغتها الأنانية الوظيفية للإنسان لتبقى مجرد مكان للترحيب والمطالب الاجتماعية، إلى حد فقدان كل آثار الإيمان في الحياة الآخرة». مواضيع معقدة ودقيقة لمن يعيش الإيمان كرسالة.

كتاب فينيتسياني يتعمق في الحاضر ويفعل ذلك بنظرة ذكية وثاقبة؛ إن الإشارة إلى إستخدام التفكير النقدي كأداة لإلغاء أي تمثيل للغطاء الخانق أمر مهم، إنه في الأساس إيمان كريم بالإنسان، وفي عوالم مختلفة يستطيع أن يسكن فيها بحرية حتى الآن.

العنوان: الغلاف، لنقد الحاضر
المؤلف: مارشيللو فينيتسياني
دار النشر: مارسيليو سودي
بلد الاصدار: إيطاليا
لغة الكتاب: الإيطالية
تاريخ الاصدار: فبراير 2022
عدد الصفحات: 304

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

العالم في عام 2040 كما تراه وكالة الاستخبارات المركزية

تأليف جماعي

محمد حركات *

دراسة الاتجاهات العالمية الكبرى في أفق عام 2040 هو موضوع التقرير الصادر في شهر مارس2021 عن منشورات الاكيواتور بباريس، الذي أعدته وكالة الاستخبارات المركزية أو بشكل أكثر دقة من قبل مجلس الاستخبارات القومي الأمريكي، العقل الاستشرافي للوكالة بصفته يعد أحد أكبر مراكز الفكر المتميزة، والذي يوجد مقره في البيت الأبيض.

أما موضوع هذه المراجعة فقد تم تحت إشراف وتقديم الصحفي المعروف سمولار بيوتر المنحدر من أصل بولوندي، والذي راكم تجربة مهنية واسعة في المجال الإعلامي، وهو مؤلف للعديد من الكتب حول السياسية الدولية. وتعد هذه الوثائق من بين أكثر المؤلفات مبيعًا ضمن إصدارات وكالة الاستخبارات الأمريكية اعتبارا لأهميتها المتعددة الأبعاد ومقاربتها الشاملة في استشراف المستقبل، والذي يغطي جميع المجالات الاقتصادية والديموغرافية والبيئية والاجتماعية والسياسية. لم يتفانَ تقرير٢٠٢١ في رسم عالم قاتم متنازع عليه وأكثر توترا واضطرابا، والذي لم تزده الحروب المشتعلة اليوم بين روسيا وأوكرانيا إلا شدة في القتامة والشك وعدم اليقين.

ويعد تقرير٢٠٢١ الإصدار السابع من سلسلة تقارير الاتجاهات العالمية للوكالة، والتي ما فتئت تنشر تقاريرها باستمرار كل أربع سنوات منذ عام ١٩٩٧، متوخية فيه تقييم الاتجاهات والشكوك الرئيسية التي ستشكل البيئة الاستراتيجية للولايات المتحدة على مدى العقدين المقبلين من أجل توفير إطار عمل تحليلي لواضعي السياسات في بداية كل إدارة، حيث يقومون بتطوير استراتيجية الأمن القومي واستشراف مستقبل غير مؤكد. والهدف لا يكمن في تقديم تنبؤ محدد للعالم في عام ٢٠٤٠ ولكن العمل على مساعدة صانعي السياسات على بلورة رؤية في هذا الأفق والاستعداد لمجموعة من المستقبلات المحتملة. هذه التقارير تنشر كل أربع سنوات، تكتبها لجنة الاستخبارات القومية الأمريكية، وهو فريق أنشئ في عام ١٩٧٩ ويضم الآن حوالي ثلاثين عضوا، معظمهم من مسؤولي وكالة الاستخبارات المركزية . والواقع، فإن التقرير يمثل وثيقة منهجية وبيداغوجية واستراتيجية ثمينة بفعل تجاوزه اهتمامات الدائرة الداخلية للمتخصصين. والهدف يكمن في دعوته الصريحة لكل إدارة أمريكية جديدة إلى تخليص نفسها من الرؤية الإدارية النمطية الأحادية. لذلك نراه يعتمد تبادل الآراء مع أفضل العلماء والمحللين في سبيل تحديد الفرضيات وبلورة التوقعات والاتجاهات الرئيسية في العالم لمعرفة إلى أي حد تعكس وجهة النظر الأمريكية في صدقية وسلامة التركيب في صيرورة إغناء وتغذية الفكرالاستراتيجي؛ اعتبارا لما يمكن أن يمثله هذا التقرير كأفق واسع للتفكير البشري ليكون مصدرًا مفيدًا ويحفز المناقشات الموضوعية الجادة والرصينة حول مستقبلنا الجماعي الكوني الرحب.

لهذا يعترف المؤلفون بمدى تواضع ومحدودية التحليل والإسهامات المقدمة من طرفهم، وهذا ما يفسر واقعية تخميناتهم عندما يقرون أن المستقبل قد يكون عرضة للتغيير، وقد ينكشف دائمًا بطرق لم يتم توقعها ما دامت وظيفة المحلل هي بناء الحجج على أساس البيانات، مصحوبة بالتحفظات المناسبة ليكشف عمله ويوضح ما يعرفه وما لا يعرفه، والأخذ بعين الاعتبار الفرضيات البديلة وكشف الأخطاء المحتملة. لذلك يحرص التقرير الاستراتيجي، من هذا الحجم، منهجيا سلك العديد من الخطوات العلمية المتمثلة في مراجعة وتقييم الإصدارات السابقة للتعلم منها؛ لما تنطوي عليه من استشارات مختلفة مفيدة، وجمع البيانات والبحوث من خلال سرد مخطط توليف متماسك واستشرافي لها، مع التماس التعليقات الداخلية والخارجية لتصحيح التحليل وتنقيحه.

وسعيا من المؤلفين للتقرير للوقوف على بعض أوجه عدم اليقين بشأن المستقبل، والمتعلق بالخيارات السياسية للأفراد والقادة التي ستشكل البيئة العالمية في التغيير عبر التركيز على مبدأين تنظيمين أساسيين: تحديد وتقييم القوى الرئيسية التي تشكل تلك البيئة الاستراتيجية المستقبلية، ثم دراسة كيفية تصرف الشعوب والقادة في الرد والتفاعل مع هذه القوى حيث تمت صياغة خمسة سيناريوهات لعوالم بديلة في عام ٢٠٤٠ من خلال طرح ثلاثة أسئلة جوهرية : ما مدى خطورة التحديات العالمية الناشئة؟ كيف تنخرط الدول وباقي الجهات الفاعلة في العالم، مع أي توجه وما هو نوع المشاركة؟ وأخيرًا، ما هي أولويات الدول بالنسبة للمستقبل؟

والغرض من هذا الجهد الفكري العظيم يكمن في تقديم لكل رئيس أمريكي منتخب جديد حالة الأمكنة الاستشرافية للعالم وما يحدق به من مخاطر تثقل كاهل الولايات المتحدة وحلفائها وبقية البشرية على السواء. ولذلك فهو يعتبر مهمة عملاقة إلى حد ما، تتمثل في تجميع الكثير من البيانات الإستراتيجية التي يتم نشرها في العموم، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه القوة الناعمة للقوة الصلبة. وبناء عليه تقدم وكالة الاستخبارات رؤية مقلقة وقاتمة لعام ٢٠٤٠، وهي رؤية عالم مجزأ ومتنازع عليه، حيث تخاطر السلطة السياسية في الديمقراطيات الغربية بمواصلة فقدان الشرعية، والقرارات التي يتم تحملها بشكل أقل، ولم تعد دولة الرفاهية قادرة على تمويل سكانها المسنين. لكل هذه الأسباب، يتوقع التقرير بإمكانية نشوب صراعات اجتماعية شديدة تتحدى الاستقرار السياسي للدول الغربية.

ومن مميزات تقرير ٢٠٢١ أنه يرسم ملامح عالم ٢٠٤٠ في سياق صعب متزامنا مع التداعيات الدرامية لجائحة كوفيد ١٩، وما نتج عنه من آثار سلبية وخيمة على المجتمعات والشركات والدول جعلت الناس يتجهون في التفكير في ضمان دوام عيشهم وسلامتهم في الأجل القصير على حساب الأجل البعيد، الشيء الذي نتج عنه عدة تحولات واضطرابات عالمية تتجلى أولا على المستوى العالمي في التعبئة الدولية، بين التعاون والمنافسة في إيجاد العلاجات اللازمة للوباء. ويلاحظ أن العالم سيواجه تحديات أكثر حدة، من تغير المناخ إلى الاضطراب الناجم عن التقنيات الجديدة والأزمات المالية والاقتصادية والتي بدأت بوادرها اليوم بالحرب الروسية الاوكرانية، وهي ما أصبح يطلق عليه الحرب العالمية الاقتصادية الثالثة. الاضطراب الثاني يتعلق بتأكيد قوات وقدرات بعض الدول مثل روسيا وتركيا والصين التي استفادت بدرجات متفاوتة من الانسحاب النسبي الأمريكي من إدارة شؤون العالم حيث زادت أزمة كوفيد من طموحاتهم عشرة أضعاف. الانتفاضة الثالثة التي تخص المعسكر الغربي مع فوز جو بايدن في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، ليسترجع البلد بذلك بعض قدراته في التوقع والتنبؤ والاهتمام أساسا بحقوق الإنسان والحق في المواطنة وايلاء الأهمية اللازمة للحلفاء .

وفي هذا السياق جاء التقرير ليعلن عن مجموعة من الفرص المتاحة وإبراز التوترات والتهديدات التي تواجه البشرية في هذا الأفق، معتمدا في ذلك على تحديد القوى البنيوية الكبرى المتحكمة في التحول، مثل العوامل الديمغرافية والتنمية والبيئة والاقتصاد والتكنواوجيا، وكذا الديناميات الصاعدة والمتمثلة في مفارقة خيبة الأمل وانقسامات وتشرذم المجتمع وإشكالية الهوية. وتتجلى هذه التوترات والاضطرابات في تزايد عدم التوافق بين المطالب العامة والقدرات الحكومية على الاستجابة في تقديم الخدمات للمواطنين، وتصاعد عدم الاستقرار السياسي وتنامي الهشاشة أمام عجز النماذج التنموية، ووجود أنساق ديمقراطية تحت الضغط والاستبداد، فضلا عن هشاشة المنظومة الدولية المتغيرة والمتنازع حولها في حماية تزايد مخاطر الصراع بين الدول. ومن مميزات هذا

التقرير، بسطه لخمس فرضيات ابستمولوجية أساسية للتغيير تتمثل في: أولا،التحديات العالمية المتمثلة في التغير المناخي والبيئي، والأمن الغذائي والمائي، والتحديات الصحية، والأزمات الاقتصادية، والمشاكل التكنولوجية وعلاقتها بتداعيات جائحة كوفيد -١٩ التي ستستمر توابعها عدة سنوات. ثانيا، الانقسامات العالمية المتزايدة ومدى تعاملها مع التحديات العالمية المذكورة. وللمفارقة، يذكر التقرير أن الزيادة المستمرة في الاتصال والتواصل من خلال التكنولوجيا والتجارة وحركة الأفراد، هي نفسها التي تسببت في انقسام وتفكك الدول والشعوب. ثالثا، الاتصال، بمعنى الترابط والتشابك؛ فرغم فوائده الجمة في توفير وتجويد المستويات المعيشية فهو لم يستطع الحد من التوترات في المجتمعات المنقسمة على نفسها، أو يعمل على اكتساب التكنولوجيا ونشر اقتصاد المعرفة عالميا، وصولًا إلى الحكومات التي ستوظف القمع الرقمي للسيطرة على الشعوب. رابعا، اختلال التوازن، ويعني اتساع الفجوة بين الاحتياجات والتحديات وبين الأنظمة والمؤسسات التي تتعامل معها. خامسا التنازع، الذي يأتي من داخل المجتمعات والدول والنظام العالمي نتيجةً مباشرةً للاختلال في التوازن وما يسببه من تزايد التوتر والانقسامات والمنافسات، حيث تصبح السياسة الداخلية في الدول المختلفة مُتقلبةً وخلافيَّة، ولن يُستثنى من هذه الظاهرة أي منطقة أو أيديولوجية أو نظام حكم. خامسا، التكيُّف وهو يعني اختبار مدى قدرة الفاعلين الدوليين في سعيهم المتزايد في التفوق على منافسيهم وما ينبغي أن يتحلَّوا به من قدرة على التكيُّف والتأقلم والمرونة والصمود اتجاه قضايا مركبة مثل التغير المناخي والديموغرافي والتكنولوجي.

وينبني التقرير على التحليل من خلال اعتماد ثلاثة أقسام عامة. أولاً، استكشاف القوى الهيكلية في أربعة مجالات رئيسية: التركيبة السكانية، والبيئة، والاقتصاد، والتكنولوجيا باعتبارها مجالات أساسية في تحديد الديناميكيات المستقبلية وهي عالمية نسبيًا. ومن المرجح أن تصبح الهند قوةً عالمية، بسبب جغرافيتها وإستراتيجيتها وتزايد قوتها الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية. ويتوقع التقرير كذلك صعود الصين لتصبح قوةً عالمية، وستتطلع لفرض السيطرة على آسيا وزيادة نفوذها العالمي . ويحتملُ أن تستمر روسيا في إرباك النظام العالمي، وتوسيع الانقسامات في الغرب، وتوطيد علاقاتها مع دول أفريقيا والشرق الأوسط وغيرها. ومع رحيل بوتين، في ٢٠٢٤ أو بعد ذلك، ربما تضطر للتراجع جيوسياسيًا. ويتنبأ التقرير باستمرار بعض القوى الإقليمية في الصعود، مثل السعودية وتركيا والإمارات وإيران وإندونيسيا والبرازيل ونيجيريا وأستراليا. ويتوقع أن تبقى الحركات الجهادية أكبر تهديد عابر للحدود، كما ستستمرُّ إيران وحزب الله على الأرجح في ترسيخ ما يسمى «محور الممانعة»، مع احتمال زيادة التهديدات ضد الأهداف الأمريكية والإسرائيلية وغيرها من الأهداف في الشرق الأوسط. أما الجزء الثاني، فقد خصص لدراسة كيفية تفاعل هذه القوى الهيكلية مع بعضها البعض وتقاطعها مع عوامل

أخرى للتأثير على ديناميكيات ناشئة في ثلاثة مجالات: الفردية والمجتمعية، والدولة، والمنظومة الدولية. ويخلص التقرير إلى أن التحليل في هذا القسم يتسم بدرجة عالية من عدم اليقين بسبب تنوع الخيارات التي سيتم اتخاذها في المستقبل. وأخيرًا يخصص القسم الثالث لاقتراح خمسة سيناريوهات محتملة لمستقبل العالم في عام ٢٠٤٠. ويعكس الجزء الأخير من التقرير تركيبا فكريا محفزا على المتابعة، حيث يعرض خمسة سيناريوهات للمستقبل. الأول هو الأكثر تفاؤلاً وعنوانه «نهضة الديمقراطيات» ستستند إلى طفرة اقتصادية دولية، ممكّنة من طفرة تكنولوجية ومقاربات تشاركية بين الحكومات والمجتمعات المدنية المنفتحة، وكذا المنظمات الدولية، ينتج عنها تحسين نوعية الحياة لملايين السكان، وكذا مواجهة التحديات الكونية، وانخفاض التوترات الاجتماعية، وتجديد الثقة في المؤسسات الديمقراطية . من ناحية أخرى، يتنبأ هذا السيناريو بنوع من الركود الروسي والصيني، حيث يتسبب النير القمعي في هجرة الكفاءات والأدمغة. واعتبارا للرجة التي أحدثتها الجائحة والدروس المستخلصة منها يتجه العالم إلى إعطاء أهمية قصوى للبحث العلمي والابتكار والتنمية التكنولوجية واعتماد الذكاء الاصطناعي في الاستجابة لحاجيات المجتمع وضمان الأمن الاجتماعي، من خلال السهر على مكافحة الفساد وتقوية الشفافية والمساءلة عبر العالم مع تفاعل لرأي عام وتطوير التعليم والقدرات المهنية. أما السيناريو الثاني : العالم التائه، الذي يتسم فيه النظام الدولي بغياب القيادة والفوضى وعدم الاستقرار حيث تتجه القوى الكبرى مثل الصين والجهات الفاعلة الإقليمية والمنظمات غير الحكومية إلى تجاهل القواعد والمؤسسات الدولية إلى حد كبير، وفيه تستفيد الصين من الصعوبات التي يواجهها الغرب لتوسيع نفوذها الدولي، لا سيما في آسيا، لكنها تفتقر إلى الإرادة والقوة العسكرية لتولي القيادة العالمية، تاركة العديد من التحديات الدولية، مثل تغير المناخ وعدم الاستقرار في البلدان النامية، دون معالجة إلى حد كبير. غير أن هذه التحولات العميقة في منظومة الإنتاج ستتيح للصين التغلب على الولايات المتحدة وتصبح أكبر اقتصاد في العالم بحلول عام ٢٠٣٠. كما تظل فعالية التعاون الدولي محدودة رغم التقدم التكنولوجي، والذي يفشل بدوره في تقديم الحلول المناسبة، ناهيك عن ضعف القواعد والافتقار إلى التعاون متعدد الأطراف مما يجعل العالم أكثر عرضة للقرصنة والاختراق والإرهاب المعلومياتي .

السيناريو الثالث: تعايش وتنافس: فيه تتجه الولايات المتحدة والصين إلى إعطاء الأولوية للنمو الاقتصادي وإلى بناء علاقات تجارية قوية، لكن ذلك لا يمنع القوتين من خوض التنافس بينهما على النفوذ السياسي ونماذج الحوكمة والهيمنة التكنولوجية والميزة الاستراتيجية، كما تظل مخاطر نشوب حرب كبرى بينهما منخفضة. أما التعاون الدولي والابتكار التكنولوجي فقد يجعلان المشاكل العالمية قابلة للإدارة على المدى القصير بالنسبة للاقتصادات المتقدمة، ولكن تبقى هناك التحديات المناخية مطروحة على المدى الطويل. السيناريو الرابع، منفصلة الصوامع، يتنبأ بعالم مجزء في عدة كتل اقتصادية وأمنية متفاوتة الحجم والقوة. تتركز في الولايات المتحدة والصين والاتحاد الأوروبي وروسيا وعدد قليل من القوى الإقليمية،عمادها تحقيق الاكتفاء الذاتي والمرونة والدفاع . كما تتدفق المعلومات عبر جيوب سيبرانية منفصلة، ويتم إعادة توجيه سلاسل التوريد ضمن تجارة دولية مضطربة . أما البلدان النامية الضعيفة فتصبح عالقة بين نارين،البعض على وشك أن يصبحوا دولًا فاشلة. ويتم التعامل مع القضايا العالمية، بما في ذلك تغير المناخ، بشكل متقطع، إذا لم يتم تناولها على الإطلاق. السيناريو الخامس: المآسي والتعبئة : هو الأكثر سوداوية حيث سيقود العالم فيه تحالف عالمي تتزعمه دول الاتحاد الأوروبي والصين، بتعاون مع المنظمات غير الحكومية والمؤسسات الدولية، لخوض تغييرات واسعة المدى لمجابهة التغير المناخي والفقر ونضوب الموارد، وذلك بعد وقوع كارثة غذائية سببها مناخي، بعد تدمير مصائد الأسماك وتراجع محاصيل الحبوب؛ مما يسبِّب ارتفاع أسعار الغذاء وينتهي بمجاعة عالمية وتزايد في العنف. لذلك يقترح التقرير إنشاء مجلس أمن بشري عالمي، يتألف من أعضاء من الدول وباقي الفاعلين غير الدول، والغرض هو الاستجابة لتطلعات البشر للتعاون والتضامن في حماية المنافع الكونية العامة المشتركة.

عنوان الكتاب: العالم في عام 2040 كما تراه وكالة الاستخبارات المركزية: عالم أكثر إثارة للجدل

دار النشر : مطابع الايكواتور، باريس

عدد الصفحات : 225 ص

اللغة : فرنسية

سنة الطبع : 2021

* أكاديمي مغربي

جعل الأرقام مهمة: فن وعلم توصيل الأرقام

تشيب هيث وكارلا ستار

وليد العبري *

هذا الكتاب هو دليل واضح وعملي، وهو الأول من نوعه لفهم الأرقام والبيانات والتواصل معها، وهو من تأليف تشيب هيث صاحب أكثر الأعمال مبيعا والأستاذ بكلية الدراسات العليا في جامعة ستانفورد، وكارلا ستار، الصحفية الشهيرة بكتاباتها في مجال العلوم السلوكية (علم النفس والاقتصاد السلوكي وديناميكيات النظام).

يسألان سؤلا مهما، ما حجم المليار عن المليون؟ حسنا، مليون ثانية هي اثنا عشر يوما. أما مليار ثانية فهي اثنتان وثلاثون سنة، الفارق كبير جدا. يعد فهم الأرقام أمرا ضروريا، لكن البشر ليسوا مصممين على فهمها. حتى وقت قريب جدا، لم تكن معظم اللغات تحتوي على كلمات للأرقام الأكبر من خمسة، أي شيء من ستة إلى ما لا نهاية كان يُعرف باسم «الكثير». بينما أصبحت الأرقام في عالمنا معقدة بشكل متزايد، فإن أدمغتنا عالقة في الماضي. كيف يمكننا ترجمة الملايين والمليارات والميلي ثانية والنانومتر إلى أشياء يمكننا فهمها واستخدامها؟

برع المؤلفان تشيب هيث وكارلا ستار في تعليم الآخرين كيفية جعل الأفكار ثابتة، وهنا، في «جعل الأرقام تعد»، يحددان مبادئ محددة تكشف كيفية ترجمة الرقم إلى لغة دماغنا. هذا الكتاب مليء بأمثلة عن عمليات تحويل الأرقام المتطرفة، والأمثلة الواضحة قبل وبعد، والتي تأخذ رقما جافا، وتقدمه بطريقة ينقر عليها الأشخاص ويقولون «رائع، لقد فهمتها الآن!».

يعلن معظم الكتاب في هذا النوع أن الرياضيات ممتعة أو يحذرون من أن الرياضيات يمكن أن تخدعك، لكن هيث وزميلته، لديهما سمكة أخرى ليقلياها. على الرغم من أنه «لا أحد يفهم الأرقام حقا» وأن معظم الجهود للحديث عنها تفشل، فإن المؤلفين يقومان بعمل جيد في إظهار عكس ذلك. في ٢٢ فصلا قصيرا، يقدمان تعليما مبتكرا، وغير مضجر حول كيفية توصيل الإحصاءات، والأرقام، إلى الأشخاص الذين يجدونها مربكة. يُظهر أحد أكثر الأمثلة المدهشة للمؤلفين عن الإحصائيات أثناء العمل أنه يقع أقرب نجم على بعد ٤,٢٥ سنة ضوئية من الأرض، وهو رقم لا يمكن أن يفهمه إلا علماء الفلك. كما أوضح المؤلفان، فإن الفهم أسهل من خلال الصورة «تخيل انكماش النظام الشمسي إلى حجم الربع. تترك ربعا عند عمود المرمى، في ملعب كرة قدم، وتمشي باتجاه المرمى في الطرف الآخر من الملعب. عندما تصل إليه، اترك ربعا آخر لتمثيل النظام الشمسي لأقرب جار لنا». مع المقارنات، كلما كان الأمر أكثر غرابة، كان ذلك أفضل. إن إنتاج الماشية ١٤,٥٪ من غازات الدفيئة العالمية، هو إحصائية مملة. بدلا من ذلك: الصين وأمريكا في المرتبة الأولى والثانية في إنتاج الغاز. والمرتبة الثالثة تمثلها جميع أبقار العالم. لذلك، من الممكن أن تجعل سرد الرياضيات سهل الوصول.

عندما كان ألفريد توبمان الرئيس التنفيذي لسلسلة المطاعم A&W، ابتكر طريقة ذكية لتحدي المنافسة، عرض البرجر بثلث باوند مقابل تكلفة ربع باوندر من ماكدونالدز. النتائج؟ أبدى أكثر من نصف عملاء A & W إعجابهم، مقتنعين بأنه طُلب منهم دفع نفس المبلغ مقابل ما بدا لهم وكأنه برجر أصغر. درس واحد من هذه الحلقة: «الرياضيات ليست اللغة الأصلية لأي شخص». لذا لاحظ تشيب هيث وكارلا ستار في جعل «الأرقام تعد»، وقدما نظرة فاحصة على التحدي المتمثل في فهم الادعاءات العددية. لاحظ المؤلفان أنه بمجرد أن نتجاوز ١، ٢، ٣، تتدهور قدرتنا على فهم الأرقام بسرعة؛ من الأفضل، إن أمكن، ترجمتها إلى «رسائل محددة، وواضحة وذات مغزى تكون واضحة بما يكفي لجعل الأرقام غير ضرورية».

ضع في اعتبارك، كيف يمكننا وصف مياه العالم: ٩٧,٥٪ ملوحة؛ ٢,٥٪ الأخرى عبارة عن مياه عذبة، لكن ٩٩٪ من هذه الكمية محصورة في الأنهار الجليدية، ولم يتبق سوى جزء صغير صالح للشرب بالفعل. إذا كنت تريد أن «يرى الناس الأرقام ويشعرون بها، لا مجرد قراءتها»، كما يقول السيد هيث والسيدة ستار، ففكر في تشبيه مرئي: تخيل «إبريقا مملوءا بالماء مع ثلاث مكعبات ثلج بجواره». يمثل الإبريق المياه المالحة للأرض، ومكعبات الجليد والأنهار الجليدية، و «القطرات تذوب» وهذا هو المتاح للاستهلاك. مقارنة أخرى لافتة للنظر، هذه مأخوذة من مقال نشرته صحيفة New York Times عام ٢٠١٨، من بين ٥٠٠ رئيس تنفيذي في Fortune، هناك عدد أكبر من الرجال الذين يُدعون «جيمس» أكثر من عدد النساء إجمالا.

إحدى الطرق لجعل الأرقام تنبض بالحياة هي من خلال القصص، التي تعالجها أدمغتنا «أفضل من الإحصائيات». من غير المحتمل أن نتذكر تفاصيل حول الأجور المنخفضة للغاية، وأسعار الفائدة المرتفعة بشكل غير معقول في بنغلاديش، على سبيل المثال، لكن لا يمكننا أن ننسى قصة جهود الخبير الاقتصادي محمد يونس في توزيع القروض الصغيرة التحويلية على المستفيدين الذين يشعرون بالامتنان.

غالبا ما يكون استخدام الأرقام أمرا لا مفر منه، كما يقر السيد هيث والسيدة ستار. ما يجب القيام به؟ نظرا لأننا نعالج «الأرقام سهلة الاستخدام» بشكل أفضل بكثير من الكسور العشرية، والنسب المئوية (كما اكتشفت A&W بشكل مثير للإعجاب)، يمكن أن تكون المقارنات البسيطة مفيدة. يمكن ترجمة البيانات الصحية العالمية، على سبيل المثال، إلى قرية تمثيلية من ١٠٠، حيث يعاني ٢٩ شخصا من زيادة الوزن، ويعاني ١٠ من الجوع. يمكننا أيضا استخدام الأطر المرجعية ذات الصلة ثقافيا. تمت مقارنة إرشادات التباعد الاجتماعي التي يبلغ طولها ٦ أقدام لـ Covid بعصا الهوكي (في كندا)، وحصيرة (اليابان)، ولوح ركوب الأمواج (سان دييغو)، وشبيه النعام (أستراليا).

حقا الأعداد الكبيرة مزعجة بشكل خاص. كتب المؤلفان: «المليارات، التريليونات، الملايين»، تبدو جميعها متشابهة، ولكنها تصف الحقائق بشكل مختلف تماما. الهدف هو جعل الحقيقة حية. لنأخذ جيف بيزوس على سبيل المثال، الذي يبلغ صافي ثروته حوالي ١٩٨ مليار دولار. للتعبير عن حجم هذا الرقم، يقترح المؤلفان أننا نتخيل سلما تمثل فيه كل خطوة ١٠٠٠٠٠ دولار في البنك. نصف الأمريكيين، وما يقرب من ٩٠٪ من العالم، لا يمكنهم حتى الوصول إلى الخطوة الأولى. بعد أربع خطوات، يترك ٧٥٪ من الأمريكيين السلم. بالخطوة العاشرة ٩٠٪ يتطلب الصعود إلى ذروة ثروة السيد بيزوس ما يقرب من مليوني خطوة. لنشر إلى وحدة قياس أخرى: إذا افترضت أن معدل التسلق على مهل يبلغ ٦١ خطوة في الدقيقة، فسيتعين عليك التسلق تسع ساعات يوميا لمدة شهرين للوصول إلى السيد بيزوس.

من بين الأساليب التي تجعل البيانات تظهر «القفز على أساس الفئات»، مثل وصف لاعب كمال الأجسام أرنولد شوارزنيجر لمنافس مبتذل: «هذه ليست أذرع، إنها أرجل!» وأيضا إضفاء الطابع الشخصي، وهي تقنية جسدها أستاذ القانون الذي يضرب به المثل، والذي يقول لطلاب السنة الأولى: «انظر إلى يسارك، وانظر إلى يمينك. واحد منكم أنتم الثلاثة لن ينضم إلينا الخريف المقبل». طريقة أخرى: استخدام المعالم، كما يفعل هذا المقطع النثري، لوصف التجربة المرعبة، للمتزلجة السويدية آنا باغنهولم عندما سقطت على الجليد، وقضت

أكثر من نصف ساعة في الماء المتجمد: «درجة حرارة الجسم الطبيعية هي ٣٧ درجة مئوية. يبدأ انخفاض حرارة الجسم في الوصول إلى حوالي ٣٥ درجة مئوية. عندما وصلت آنا إلى المستشفى، كانت درجة حرارتها ١٣,٧ درجة مئوية. لم يعش أحد من هذا البرد قط. ثم هناك مقارنة مع عملية مألوفة. يمكن أن يمثل الدقة القصوى لتصنيع Six Sigma خبازا يعد عشرين كعكا بدون عيوب كل ليلة لمدة ٣٧ عاما.

بشكل حاسم، يؤكد المؤلفان على الأهمية الأساسية للتقدير الكمي الدقيق - عليك إجراء التحليل الصحيح للحصول على الإجابة الصحيحة - مع التأكيد أيضا، على الحاجة إلى الإبلاغ عن النتائج بشكل فعال. قد لا تكون شخصا رقميًا، ولكن هناك دائما «ترجمة» يمكنك استخدامها للسماح للآخرين «بالشعور» برقم بشكل حدسي. عندما قامت رائدة الحاسوب (ولاحقا ضابطة بحرية) جريس هوبر بتدريس الرياضيات، أخبرنا السيد هيث والسيدة ستار، أنها كانت تقوم بتصنيف طلابها على كتاباتهم، وكذلك على حساباتهم: لقد أخبرتهم أنه لا جدوى من تعلم الرياضيات «ما لم يتمكنوا من التواصل مع الآخرين».

اتفق هيث وستار في خمس رؤى رئيسية من كتابهما الجديد، أولا: الأرقام هي لغة أجنبية. في الواقع، الأرقام هي اللغة الثانية للجميع، في أحسن الأحوال. لا نفكر دائما فيهم كلغة أجنبية؛ لأنه يتم تقديمها بجوار لغتنا الأم تماما. لكنها تُعرف باسم «الأدوات المعرفية»، وهي فكرة مجردة تساعدنا في قياس العالم من حولنا.

المشكلة؟ بينما تطور دماغنا للتعامل مع العناصر الملموسة أمام وجوهنا مباشرة، فإن الأرقام هي اختراع حديث نسبيا. هذا هو السبب في أن معظم الثقافات، عبر التاريخ، تحتوي فقط على كلمات لـ ١، ٢، ٣ و«كثير». لا أحد يعتقد أنه شخص أرقام؛ وذلك لأنه لا يوجد أحد حقا شخص أرقام.

إذا بدأ طبيبك في إلقاء المصطلحات الطبية التي لم تفهمها، فربما تطلب توضيحا. ولكن عندما يبدأ مخطط مالي في طرح أسعار الفائدة، فإننا عادة ما نتجاهل فقط، ونشعر بالحرج، ونفترض أننا سيئون في الرياضيات. لكن لا علاقة له بمدى ذكائنا، فقط حقيقة أن شخصا ما يناقش المفاهيم بلغة ثانية. إن فهم كيفية عمل عقولنا، وأنها في الأساس قضية تواصل، يمكن أن يمكّننا من مطالبة الآخرين بشرح نقاطهم بشكل أكثر وضوحا، ومساعدتنا في شرحها بشكل أفضل للآخرين.

ثانيا: ابحث عن «الكبير». غالبا ما شاهدت هذا في الأفلام الوثائقية، وحدة قياس مثل، «إذا أخذت هذا السعر، وقمت بتحويله إلى بنسات، ثم وضعت كل البنسات في مبنى إمباير ستيت، يمكنك أن تملأه حتى الطابق العلوي!» أو «يزن هذا ما يصل إلى خمسة ونصف من الأفيال الأفريقية!». هذه محاولات لشرح شيء أكبر من أن نلتف حوله، من خلال مناقشة شيء أكثر تجريدا وتحييرا للعقل.

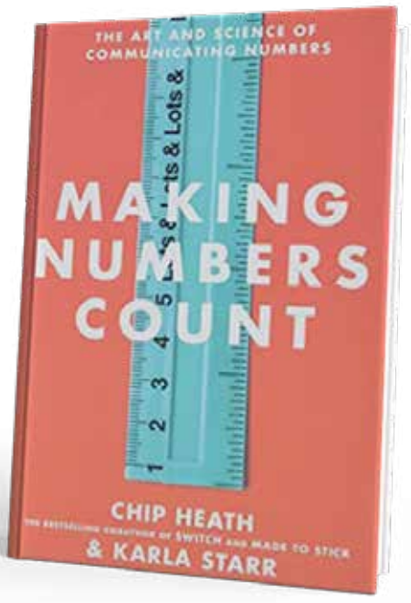

«متى كانت آخر مرة تحققت فيها من رصيدك المصرفي وفكرت، لا أستطيع أن أصدق أنني أنفقت تلك الكومة من فئة الثماني بوصات من سندات الدولار الواحد؟» عندما حاول رونالد ريغان شرح الدين القومي في عام ١٩٨١، قال إن «تريليون دولار ستكون كومة من سندات الألف دولار بارتفاع ٦٧ ميلا». «Wow-ism» أو «big-ism» هو الاعتقاد الخاطئ بأنه عند توصيل الأرقام، يكون الأكبر هو الأفضل، وأن تكوين مقياس تعسفي سيساعد قضيتنا. إنها محاولة مستترة لنقل رسالة واحدة، رسالة تجعل من الصعب فهم التفاصيل.

ثالثا: جرب الأحجام ذات المقياس البشري. إذن إذا كان لديك رقم كبير وتحتاج إلى توضيح حجمه، فماذا يمكنك أن تفعل؟ بشكل غير متوقع، يمكن أن يساعدك تقليص كل شيء. على سبيل المثال، لنبدأ بإحصائية مملة: ٩٧,٥٪ من مياه العالم مالحة. و ٢,٥٪ عذبة. أكثر من ٩٩٪ محصور في الأنهار الجليدية، وحقول الجليد. في المجموع، فقط ٠,٢٥٪ من المياه الموجودة على الكرة الأرضية صالحة للشرب للبشر والحيوانات.

تسمح لنا الأحجام الصغيرة بفهم صورة كاملة مرة واحدة، مع توضيح النسب والمقارنات. غالبا ما يتم تجاهل تقديم البيانات بحيث تكون واضحة على أنها «مقلقة». ولكن عندما ترى مثل هذا المثال المباشر والصريح، الذي يبقى معك أثناء إيصال الفكرة، فإنك تدرك: هذا ليس بالذهول، هذه عبقرية. «الأحجام الصغيرة تسمح لنا بفهم صورة كاملة مرة واحدة، مع توضيح النسب والمقارنات».

رابعا: التأطير هو كل شيء. إذا أتيت إليك وأعطيتك ٢٠ دولارا، فمن المحتمل أنك ستشعر بسعادة كبيرة. لكن كيف ستشعر إذا علمت أنني أعطيت كل شخص آخر في الغرفة ١٠٠ دولار؟ أمضى الاقتصاديون السلوكيون عقودا في استكشاف تأثير التأطير. ما نفكر فيه في النهاية بشأن الرقم، يتأثر بشكل كبير بطريقة تقديمه. هناك طريقة أخرى لاستخدام مفهوم التأطير، وهي باستخدام فكرة تسمى «نظرية مستوى التأويل». يشرح هذا المفهوم الطريقة التي تتأثر بها أفكارنا ببعدنا العقلي عن شيء ما. كلما اقتربنا من شيء ما هنا، الآن أصبحت الصورة أكثر حدة.

حتى في عالم الأرقام، هناك دائما جانبان لكل قصة: هل حصلت على خصم بنسبة ٢٥٪، أم أنك دفعت ٧٥٪ مقابل شيء لا تحتاجه؟ هل معدل الإصابة ينخفض، أم أنه لا يزال أعلى من أي مكان آخر؟ لذا لا تخافوا من مثل هذه الأسئلة: ما الجانب الآخر من القصة؟ وكيف سيبدو هذا عن قرب؟

الإحصائيات والأرقام السيئة التي تحاول خداع الناس، لا تجتاز اختبار Instagram. يمكن لأي شخص أن يبدو جيدا من الزاوية الصحيحة، مع الكثير من الفلاتر. ولكن إذا كنت تريد أن تعرف كيف يبدو شخص ما حقا - أو ما يعنيه الرقم حقا - فراجع الكثير من الزوايا.

خامسا: اعرف جمهورك. يعد استخدام النقاط المرجعية التي يفهمها جمهورك أمرا لا يفكر فيه أحد في أي رسالة. لكننا غالبا ما ننسى القيام بذلك عندما يتعلق الأمر بالرياضيات والأرقام. «أول شيء نريد القيام به هو استخدام مبدأ MacGyver للعثور على النقاط المرجعية التي قد يفهمها جمهورك. انظر حولك. ثم فكر».

على سبيل المثال، كيف يمكنك تفسير حجم أوليمبوس مونس على المريخ، وهو أكبر بركان في المجموعة الشمسية؟ تبلغ مساحته حوالي ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع، ولكن لا أحد يعرف حقا معنى ذلك. تطورت أدمغتنا للتعامل مع الأشياء الملموسة، لذلك عندما نقوم بترجمة الأرقام، فإن أول شيء نريد القيام به هو استخدام «مبدأ MacGyver» للعثور على نقاط مرجعية يمكن أن يفهمها جمهورك. انظر حولك. ثم فكر.

إذن ما هو حجم أوليمبوس مونس؟ إنه بحجم أريزونا أو إيطاليا. كم يبلغ طوله؟ إنه طويل جدا لدرجة أنك إذا كنت في رحلة طيران عبر البلاد، فسوف تصطدم بنقطة منتصف الطريق. الأرقام هي مجرد طرق لقياس ومناقشة العالم، لذلك لا تخف من الاستمتاع بها، اجعل أرقامك مهمة.

اسم الكتاب: جعل الأرقام مهمة: فن وعلم توصيل الأرقام

المؤلف: تشيب هيث وكارلا ستار

دار النشر: أفيد ريدر للنشر

تاريخ النشر: يناير 2022

اللغة: الانجليزية

عدد الصفحات: 208 صفحة

* كاتب عُماني

إصـدارات عالميـة جديـدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

المعرفة والحكم في الأندلس في القرن الحادي عشر

المؤلف: إيمانويل تيكسييه دو ميسنيل **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار سُويْ. فرنسا **عدد الصفحات: 416**

تواصل الأندلس إثارة الخيال والحنين والإسقاطات بأنواعها وأشكالها كلها. وقد صنعت خصوصيتها بالتناوب كمكان راق للتسامح الإسلامي، كما اعتبرت الجنة المفقودة التي لم يتبق منها سوى القصور الجميلة والصدى البعيد عن حياة و فن رفيعين، ولكنها أيضًا كانت مسرحا لصراع حياة أو موت بين الإسلام والمسيحية، فهي واحدة من الأراضي النادرة التي ولدت فيها أساطير غنية ومتناقضة.
هذه القطعة الجغرافية الحالمة والتحفة العمرانية من أوروبا التي تنتمي إلى الإسلام تركت لحسن الحظ نصوصًا يقترح إيمانويل تيكسييه دو ميسنيل إعادة قراءتها؛ لأنها توفر حصادا فكريا في منتهى الثراء خلال القرن الحادي عشر، عندما كانت حوالي عشرين إمارة، وممالك الطوائف، تشترك في أراضي الخلافة. ورغم ذلك كانت هذه الفترة من أكثر الفترات مخاطرا. عندما كان كل من الملوك المسيحيين في شمال شبه الجزيرة والمحاربين الأمازيغ المغاربيين يهددون بعضهم بعضا، كانت فترة إبداع سياسي كبير (جُرب في إسبانيا الإسلامية قبل مائتي عام من اختفاء الخلافة في الشرق)، وقد عرفت أيضًا ازدهارا ثقافيا جميلا جدًا. كما شكلت السلطة والمعرفة روابط قوية جدًا في هذا المسرح الاستثنائي خلال القرن الحادي عشر، والذي يجب استعادة تاريخه المتطور والمعقد؛ لأن الأمراء الأندلسيين جعلوا من الثقافة مشروعًا سياسيًا، وسندا لشرعيتهم، ووسيلة للمنافسة بينهم، وبذلك ساعدوا في تقديم صورة راقية لقرون عن شبه جزيرة متعلمة ومتحضرة.

التاريخ الديني المعاصر في فرنسا

المؤلف: دومينيك افون **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا **عدد الصفحات: 300**

اتسم المشهد الطائفي والعقائدي في فرنسا في بداية القرن الحادي والعشرين بتنوع كبير: فهناك الكاثوليك، اللاأدريين، والسنة، والبوذيون، والبروتستانت، واليهود، والأرثوذكس، والهندوس، ومجموعات الأقليات الأخرى من المسيحية أو الإسلامية ... لم يدخل هذا الواقع مجال التاريخ الديني المعاصر إلا مؤخرًا. وهو يتميز منذ فترة طويلة بالاهتمام بالأولوية للكاثوليكية، مع وجود اهتمامات محددة تتابع اليهودية والبروتستانتية، لكن في العقود الأخيرة شهد الاهتمام بالأديان في فرنسا نهضة ملحوظة. وهذا ما يشهد عليه هذا الكتاب، والذي يشكل أول مقاربة رئيسية للطريقة التي صاغ بها التأريخ الفرنسي الأديان والعلمنة والحداثة.
من خلال تاريخ الشراكة المفتوحة لكل من التخصصات الأخرى (علم الاجتماع، والفلسفة، واللاهوت، والأنثروبولوجيا، والقانون) وتخصصات أخرى مثل (التاريخ السياسي أو الاجتماعي، ومؤخراً، التاريخ الثقافي، وتاريخ المرأة، وتاريخ الشباب أو تاريخ الصحة) تظهر صورة جماعية تقدم من خلالها مناقشات تهم النظام التاريخي بأكمله. على الرغم من أن مؤلفي الكتاب لا يتوافقون حول تعريفات متجانسة، إلا أن البصمة المشتركة لعملهم تظل مهمة في مشهد البحث وتأثيرها يتجاوز الحدود الفرنسية.

اقتصـاد المنصـات

المؤلف: مايا باكاش بوفاليه، مارك بورو **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا **عدد الصفحات: 128**

أصبح الإنسان أكثر ارتباطا بالمنصات. ماذا تمثل هذه الكيانات الاقتصادية الجديدة؟ ما القواعد التي تحكم التبادلات داخلها؟ هل تجلب لنا الحرية والانفتاح أو على العكس من ذلك، تفرض الهيمنة على حياتنا الشخصية؟ يساعد هذا الكتاب على فهم اشتغال المنصات متعددة الجوانب وخصائصها وظروف نشأتها. كما يحلل على وجه الخصوص، تأثيرات الشبكة، المباشرة وغير المباشرة، التي تصب في قلب هذا الاقتصاد الجديد. كما يقدم الكتاب أيضًا الاستراتيجيات المميزة لنموذج العمل داخلها، ولا سيما التسعير والاستراتيجيات غير التسعيرية واستراتيجيات إطلاقها حول العالم.
تتمثل خصوصية هذا الكتاب في أنه لا يلتزم بمنهج الاقتصاد الجزئي أو الاقتصاد الصناعي. كما يدرس إخفاقات السوق والسياسات العامة الناتجة. علاوة على ذلك، فهو مهتم بقضايا الاقتصاد الكلي من حيث النمو المتسارع والعالمي واللامساواة.

اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

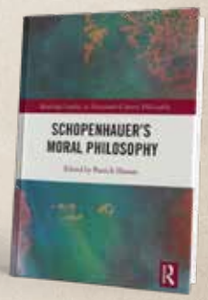

فلسفة شوبنهاور الأخلاقية

المؤلف: تأليف جماعي **دار النشر: راوتليدج**
تحت إشراف باتركيك حسن **سنة النشر: 2021**

حين نذكر اسم الفيلسوف الألماني آرثير شوبنهاور (1788-1860) تتبادر إلى ذهننا كلمة واحدة: «التشاؤم». وعادة ما ننسى أن شوبنهاور أيضا هو فيلسوف «التعاطف». ولهذا ائتلف جمع من أشهر المتخصصين في فلسفة الرجل بغاية بيان أوجه فلسفة شوبنهار الأخلاقية. وكان أن ما اكتفوا هم ببيان أن شوبنهاور أحد النقاد الكبار لأخلاقيات كانط الواجبية ـ القائمة على مفهوم الواجب الأخلاقي ـ وإنما استدلوا على أنه أسس لنسق أخلاقي عظيم قائم على مبدأ التعاطف، من شأنه أن يؤدي إلى نتائج على علم النفس الخلقي وفلسفة الفعل وفلسفة القيم والإبستمولوجيا الأخلاقية. ومما نبه عليه مؤلفو هذا الكتاب أن فلسفة الرجل الخلقية منجم غني من المفاهيم والتصورات التي تفيد في فهم القضايا الأخلاقية الملحة المطروحة في زمننا هذا. وهكذا عرضوا إلى جملة قضايا؛ منها المنزلة الأخلاقية للحيوانات، ومشكلة إباحة قتل المرء نفسه، وإمكان فعل الإيثار، وطبيعة الفضيلة، وسلك طريق النسك أو الزهد في مجتمع التهافت على الاستهلاك؛ منبهين على التوليفة البديعة التي أحدثها شوبنهاور بين الأخلاقيات الغربية والتقاليد الأخلاقية الشرقية (الهندية).

تأويليات الترجمة (مهارة المترجم على ضوء تأويليات جادامير الفلسفية)

المؤلفة: بياتا بيسيشنا **سنة النشر: 2021**
دار النشر: بيتر لانج

من أجمل التعاريف التي قدمها فلاسفة التأويليات (مبحث الفهم والتفسير والتأويل والترجمة) لمفهوم «الترجمة» تعريف الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (1913-2005): الترجمة ضيافة لغة في لغة. وغير خافية هي آداب الضيافة في هذه الحالة. والكتاب الذي بين أيدينا يعرض لشيخ بول ريكور نفسه؛ أي للفيلسوف الألماني هانس جورج جادامير (1900-2002). وهو كتاب نذرته صاحبته لفحص مفهوم كفاية المترجم من منظور تأويليات جادامير؛ وهو مجال تجد المؤلفة أنه ما حظي بالعناية اللازمة به لا من لدن التراجمة ولا من لدن الفلاسفة. وليس يهدف الكتاب إلى تصوير مختلف أفهام الترجمة على أساس فلسفة جادامير في الفهم وحسب، وإنما يتغيا أيضا تطوير نظرية تأويلية في كفايات المترجمة ومهاراته، تختلف عن سائر النظريات الترجمية في هذا المضمار. أكثر من هذا، توسع الباحثة النظرة لكي تشمل أنظار جادامير في الفهم والنص والتأويل، وتبين عن أنه بات ثمة تكامل بين الترجميات والتأويليات أكثر مما يظن.

جاريث ماثيوز: فيلسوف الأطفال

المؤلف: تأليف جماعي تحت إشراف موجن رولينز جريجوري وميجان دجين لافرتي - دار النشر: راوتليدج - سنة النشر: 2022

عادة ما تفاجئنا أسئلة الأطفال بحسبانها أسئلة فلسفية بامتياز. لكن الفيلسوف الأمريكي المعاصر جاريث ماثيوز (1929-2011) لم يكن لتفاجئه تساؤلات الأطفال، بل كان يأخذ هذه التساؤلات على محمل الجد، ويجد فيها من الفلسفة الشيء الكثير، وهو الذي أمضى سحابة عمره في تعليم الفلسفة للأطفال، وألف في ذلك ثلاثة كتب: «الفلسفة والطفل اليافع» (1980) و«حوارات مع الأطفال» (1984)، و«فلسفة الطفولة» (1994). وقد خصص هذا الكتاب عرفانا لعمل هذا الرجل، فكان أن تناول بالدراسة المحاور التالية: حياة فلسفية رفقة الأطفال، في الفلسفة وأدب الطفل، في تفكير الأطفال الفلسفي، في الطفل الفيلسوف، في المعلم السقراطي، في نفسانية الأطفال، في فلسفة الطفولة والطفل، في نقد التقاليد الغربية في هذا المضمار، مع ضميمة عبارة عن حوار مع جاريث ماثيوز عن الأطفال بوصفهم فلاسفة.